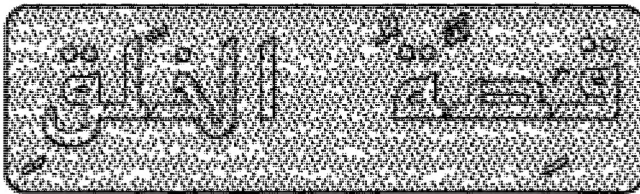
حول



منذ خلق آدم عليه السلام
وحتى الهبوط إلى الأرض

محمد البشير فرحان

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الوسام

دار الوسام للطباعة والنشر
هاتف : ٦٠٣٢٨٥
ص ب : ١٥/٥٠٠٣ لبنان - بيروت
التوزيع - مكتبة دار الأداب - الشارقة - ت : ٥٢٢٩٥١
الامارات العربية المتحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ
ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ

صَدَقَ اللّه العَظِيمُ

٢٠/الرّوم

[[إهــــداء]]

أهدي هذا العمل المتواضع إلى هؤلاء:

** إلى روح والديّ الكريمين كما ربّياني صغيراً.

** وإلى روح مشايخي الأجلاء كما علموني علماً.

** وإلى زوجتي الحبيبة ... زهرآء حياتي ....

وحسنة دنياي ... وتمام ديني.

** وإلى بناتي العزيزات ... طريقي إلى الجنّة ...

فهنّ لي تهاني رقيقة ...

مزدانة بورد و نسرين ...

فيظل قلبي رانياً إليهنّ ...

ليرى فيهنّ آلاء الله عليّ.

محمد البشير فرحان

[[المقدّمة]]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي علّم الإنسان مالم يعلم، وأرسل نبيّه ليعلّم النّاس الخير الأتمّ فصلّى اللّه عليه دائمًا وأبدًا، وعلى آله وصحبه وسلّم، وبعد ...

فأمّا موضوع الكتاب فهو ليس بجديد، لأنّه من القرآن الكريم ولا تبديل فيه ولا تحريف، ولكنّ الجديد ... هو أسلوب العرض وطريقة السّرد، فهي تهدف إلى عرض الأحداث بطريقة سهلة ميسّرة للقارىء، وتقدّمها له في تتابع تاريخيّ وتسلسل موضوعيّ يُبرزان وقائع أحداث قصّة الخلق العظيمة.

وقد قمت بفضل من الله وبتوفيقه، بحصر هذه الأحداث جميعها، ثمّ تجزئتها إلى وحدات مستقلة، تضم كل منها جزئيّةً واحدة من القصة الكاملة للخلق، وترتيبها وفق تسلسل وقوعها ما أمكن -إذ جاءت متفرّقة في عدّة مواضع من القرآن الكريم- واخترت لكل وحدة منها عنوانًا، يدلّ على مضمونها ويشير إلى ما فيها من أحداث، واعتمدت في ذلك على ما توصلت إليه من آراء المفسّرين وأقوال المحدّثين الواردة كمراجع لهذا الكتاب جزاهم اللّه عنّا وعن المسلمين خير الجزاء.

كما أوردت بعض الاجتهادات المتعلقة بالنّاحية التنظيميّة والقائمة على أسس منطقية في ترتيب الأحداث المختلفة وتصنيف البنود المتنوّعة، والتي لاتتعارض في هذا مع أيّ من التفاسير، أو تخرج بذلك عن حدود الأدب فيما وُجد من السلف الصالح من ألوان العلوم وصنوف المعارف، وقد أشير إلى ذلك، كلّ في موضعه بالهامش في مكان وروده.

وقد اخترت لهذا العمل المتواضع اسمًا يدل على كلّ من الكتاب والكاتب، فكان أن سمّيته [**حول قصّة الخلق**] فهو ليس قصة الخلق بذاتها، لأنّه لايحيط بقصّة الخلق على حقيقتها إلاّ من أوجد الخلق، سبحانه وتعالى عن الإحاطة بما لديه من علم علوًّا كبيرًا -وهذا هو الكتاب- أمّا الكاتب، فلأنّه لاحول له ولاقوة، فكان هذا العمل منه، يدور حول قصّة الخلق وليس فيها.

والله أسأل المغفرة إن أخطأت فقصّرت، وله الشكر على توفيقه إن أحسنت فأتممت، فما توفيقي إلا بالله العلي العظيم.

وسلام على المرسلين والحمد للّه ربّ العالمين،،،

محمد البشير فرحان

GOVERNMENT OF DUBAI
AL. Awqaf and Islamic Affairs
Phone : 663535
P O Box : 3135
Cable : AL - AWQAF

بسم الله الرحمن الرحيم

قسم البحوث

حكومة دبي
دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية
تليفون ٦٦٣٥٣٥
ص ب ٣١٣٥
برقيا الأوقاف



Fatwa & Researches Dep.

إدارة الفتوى والبحوث

التاريخ ١٠/ ١/ ١٤١٨ هـ
الموافق ١٨/ ٦/ ١٩٩٧ م

لمن يهمه الأمر

إجازة طباعة ونشر

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد، فإنه بعد المراجعة والتدقيق تبين:

صلاحية : كتاب «رحلة قصة الخلق» ....

تأليف : محمد البشير فرحان ....

وعليه فلا مانع لدينا من تداول هذا الكتاب وطباعته ونشره للانتفاع بما حواه من فوائد، وهذه شهادة من الدائرة بذلك.

والله ولي التوفيق.

رئيس قسم البحوث

د / عاصم الكبالي

مدير إدارة الإفتاء والبحوث

د /أحمد عبدالعزيز الحداد



ز

[[آدَم عليه السَّلام ... أبو البشــر]]

عندما أراد الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه السلام، أخبر الملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفة له، يتلقي أحكامه وينفذ أوامره، ثم تكون ذريته من بعده فيخلف بعضهم بعضًا، قال تعالى:"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً" .٣٠/ البقرة – وجاعل يعني مصيِّر والخليفة من يخلف غيره، والمراد بالخليفة هنا، سيدنا آدم عليه السلام.

١

وقد جاءت تسميته بأنه خليفة الله في الأرض، ذلك لأنه سيكون قائمًا بالخلافة فيها، وأنه سيتولى تنفيذ أحكامه وأوامره، وسيتحمل أعباء الشرائع السماوية المنزلة عليه ويتولى تبليغها إلى جميع الخلق، لا لافتقار الله له، سبحانه وتعالى عن ذلك علوّا كبيرًا، وإنما لأنه لاطاقة للبشرفي تلقي الشرائع السماوية من الله مباشرة بلاواسطة الأنبياء، وكذلك كل نبي استخلفه اللّه في عمارة الأرض، فكان ذلك رحمة من الله بالعباد(١).

---

(١) حاشية الصاوي على الجلالين جـ/١–ص١٩/ ٢٠

وفي هذا القول من الله عزّ وجلّ إلى الملآئكة، تعظيم لشأن المجعول، وهو آدم عليه السلام، إذ بشّر الله بوجوده سكان ملكوته، ولقّبه بالخليفة قبل خلقه، وذلك لإظهار مكانته وفضله (١).

وتعجبت الملائكة من هذا الخلق الجديد، فقالوا لله من فورهم: "أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ" ٣٠/البقرة- وذلك لأنه سيُخلق من تراب الأرض، وهم يعلمون بأنه لايخلق منها إلا من كانت هذه صفاته غالباً، والتسبيح والتقديس : إبعاد الله عن كل سوء(٢).

ورأت الملآئكة في هذا المخلوق الترابيّ مظاهر المادة المظلمة، لأن التراب مادة ثقيلة بطبيعته، فيه من المكونات والعناصر ما يجعل هذا المخلوق يركن إلى الأرض دائماً، ويزيد من قوة غرائزه التي تسيطر على أفعاله، وهذا عكس مادتهم النورانية التي خلقوا منها وجعلتهم في تسبيح دائم وتقديس مستمر لاينقطع لله.

---

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي - جـ/١-ص٤٥

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير -ص١٣

واختصت الملائكة وصف الإنسان بالفساد في الأرض وسفك الدماء، لعلمها بأن الإنسان تحكمه ثلاث قوى نفسية هي: القوة الشهوية والقوة الغضبية والقوة العقلية، وبالقوّتين الأوليين يحصل النقص في الصفات والفساد في الأفعال، وأمّا بالأخيرة فيكون الكمال والفضل والأخلاق(١).

وتفصيل ذلك: أن القوة الشهوية هي التي تزيّن للإنسان حب الشهوات وتجرّه إلى المعاصي فينتج عن ذلك الفساد في الأرض، بينما القوة الغضبية فإنها تثير لديه غريزة الغضب وحب الانتقام فينتج عنها سفك الدماء، وليس بعد هاتين الصفتين فساد وعصيان، ويتضح من ذلك أن الملائكة لم تنظر إلى الإنسان بمنظور القوة العقلية التي شرّفها الله فيه بالخطاب وخصها لديه بالرسالات ورفع قدرها عنده بالعلم والحكمة، وجعله صفوة العالم وخلاصته بفضل تلك القوة العقلية التي أودعها فيه، وفضّله بها على سائر المخلوقات، قال تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ

(١) حاشية الصاوي على الجلالين -جـ/١- ص٢٠

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَيَ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً". ٧/الإسراء- وكرمنا بني آدم يعني بالعقل (١).

وبعد إعلان هذا الخبر إلى الملآئكة في الملأ الأعلى، بدأت قصة خلق سيدنا آدم عليه السلام - بأن قبض الله عزَّ وجلَّ قبضة من تراب الأرض من زواياها الأربع، فتنوعت فيها كل أنواع التراب وألوانه، سوآء أكان نوعه هذا من الأديم الأعلى للأرض: أي من جبالها وسبختها وطينها وسهلها، أوكان لونه: من أحمرها وأسودها وأبيضها، فاجتمعت جميع هذه الأشكال والألوان في تلك القبضة الترابية، فخلق الله منها سيدنا آدم عليه السلام، وقد سمَّاه الله بهذا الإسم لأنه خُلق من أديم الأرض أي وجهها وجميع أجزائها، فسُمِّي بما خلق منه(٢).

وجاءت ذريته عليه السلام مختلفة في طبائعها وصورها وألسنتها وألوانها، وفقا لاختلاف أنواع التراب وألوانه في تلك القبضة، فكان منهم الطيب

(١) المرجع السابق جـ/٢-ص٣٥٧

(٢) القرطبي- جـ/١- ص١٩٣/١٩٢- وأشار المفسر إلى أنه سمّي إنسانًا كذلك لأنه نسي.

والخبيث، والصالح والطالح، والجميل والقبيح، فقد قال الله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ" ٢٢/الروم (١).

وبعد أن أتمَّ الله خلق آدم عليه السلام، علَّمه أسماء جميع الأشياء التي خلقت من أجله ليستفيد منها وليستخدمها في تأدية مهمة الخلافة في الأرض، ثم عرض الله هذه الأشياء على الملائكة وطلب إليهم ذكر أسمائها، لكن الملائكة كانت تعلم أشكال هذه الأشياء ولاتعلم مسمياتها، قال الله تعالى: "وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لاعِلْمَ لَنَآ إِلاَّ مَاعَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" ٣٢/البقرة - و[إن كنتم صادقين] أي في أني لا أخلق خلقًا أعلم منكم (٢).

عندئذ أقام الله مواجهة علنيَّة بين سيدنا آدم عليه السلام وبين الملائكة وذلك بقوله تعالى: "قَالَ يَا

(١) قصص الأنبياء للنيسابوري -ص٢٢ - [ويراجع ص١٤ من هذا الكتاب]
(٢) حاشية الصاوي جـ١-ص٢١/٢٠.

آدَمُ أَنبِئْـهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ" ٣٣/البقرة - فأنبأهم آدم عليه السلام بأسماء جميع هذه الأشياء بكل اللغات وبكافة اللهجات التي ستكون عليها ألسنة الخلق من ذريته من بعده، وسمى لهم كل شيء باسمه وعرض عليهم الحكمة من خلقه، بعد ذلك انتهت تلك المواجهة بينه وبين الملآئكة، فجاء تعقيب من الله سبحانه وتعالى للملآئكة بقوله: "قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ" ٣٣/البقرة.

وكان عتاب الله للملآئكة بقوله أولا في هذه الآية الكريمة: <<وَأَعْلَمُ مَاتُبْدُون>> أي أنّي أعلم ماكنتم قد أبديتموه من قول، وذلك لأنهم قالوا لله عزَّ وجلَّ قبل خلق آدم عليه السلام: "أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ" ٣٠/البقرة- وكان قولهم هذا بسبب حرصهم على عدم حصول الفساد في الأرض، ولشدة رغبتهم في المداومة على ذكر الله وتسبيحه وتنزيهه من جميع الخلآئق كما يفعلون (١).

---

(١) تفسير الطبري جـ/١ ص ١٧٦

أما المراد من قوله تعالى ثانيا: في نفس الآية السابقة <<وَمَاكُنتُمْ تَكْتُمُونَ>> فذلك لأنهم ظنّوا بأنّ الله لن يخلق خلقا غيرهم إلاكانوا هم أعلم منه وأكرم وأسرّوا هذا الظنّ في أنفسهم ولم يعلنوه صراحة في خطابهم مع اللّه عزّ وجلّ، فعاتبهم اللّه على ذلك الإسرار والكتمان أيضا(١).

وكان لا بد من تلك المواجهة بين سيدنا آدم عليه السلام وبين الملآئكة، وذلك من وجهين:

فأما الأول: فلأن الملآئكة كانت مأمورة بخدمة سيدنا آدم عليه السلام وذريته في الأرض من بعده، في حين أنهم لايعلمون قدره ومنزلته، ويظنّون بأنه أقل منهم درجة وأدنى عنهم منزلة، فأراد الله تعالى أن يظهر لهم منزلة آدم عليه السلام ومكانته عنده، وأن يبيّن لهم ما اختصّه الله به من العلم والمعرفة، ويُعلمهم بأن الله كرّمه على سائر المخلوقات جميعا، قال تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً". ٧٠/الإسراء.

(١) المرجع السابق – بنفس الموضع.

وأما الوجه الثاني لحدوث تلك المواجهة: فإنها كانت ضرورية في ذلك الوقت، وذلك تمهيدا لصدور الأمرالرباني إلى الملآئكة بالسجود لآدم عليه السلام، حتى لايظنوا أنهم سيسجدون لمن هو دونهم منزلة، أو أقل عنهم مكانة وفضلاً (١).

ولهذا ... فإنه بمجرد أن صدرالأمرالإلهي للملآئكة بالسجود لآدم عليه السلام، سجدوا جميعًامن فورهم سجود تعظيم وتفخيم وتكريم، إلا إبليس لم يكن معهم من السّاجدين، عليه لعنة الله والناس أجمعين، قال الله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ" ٣٤/البقرة - صدق الله العظيم.

---

(١) حاشية الصاوي على الجلالين-جـ١/ص٢٢ - وأشار المفسر إلى أن السجود لم يكن بعد خلق آدم ونفخ الروح فيه مباشرة، ولكنه حدث بعد عرض المسميات على الملائكة وإنباء آدم لهم بالأسمآء، فلمّا أنبأهم بها، أمرهم الله بالسجود له لأنه صار شيخهم، ومن حق الشيخ التعظيم والتوقير.

[[التّراب ... أوّل الأطوار]]

يروي القرآن الكريم قصة خلق الإنسان وتتابعه في أربعة أطوار متتالية، في تتابع دقيق وتصوير بديع يشرح من خلالها تسلسل هذه المراحل وتعاقبها مع بعضها البعض، منذ أن كان الإنسان ترابًا إلى أن صار بشرًا سويًا يعمر الأرض وينتشر في أرجائها، حاملاً على عاتقة أمانة تنفيذ عهد الله إليه وتطبيق شريعته، والقيام بمهام الخلافة فيها(١).

وقد جمعت إحدى الآيات القرآنية بين أول هذه الأطوار وآخرها في إيجاز قرآني بديع في قوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ" ٢٠/الروم- فكان التّراب هو أوّل هذه الأطوار، وانتشار البشر في الأرض هو آخرها.

---

(١) المرجع السابق- جـ/٢-ص٢٩٦

** [تنويه] تنوعت الآراء حول هذه الأطوار، فقيل بأنها أربعة -وهو ماتم الأخذ به- ليمكن مطابقتها مع الآيات القرآنية كشواهد في هذا الكتاب، وقيل خمسة أطوار فزادوا النفخ من الروح، وقيل ستة فزادوا التسوية ثم النفخ من الروح.

ويتوالى هذا العرض القرآني في خمس آياتٍ أخريات في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، ليتكرر ذكر التّراب كمادة للخلق ستّ مراتٍ، في كل واحدة منها تأكيد وبرهان من الله على كمال قدرته، وتمام مشيئته، حيث يقول سبحانه وتعالى :

النص الأول: "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" ٥٩/آل عمران- وجاء هذا السياق لنفي الألوهية عن سيدنا عيسى عليه السلام، ولتأكيد كونه مخلوق بقدرة الله وبكلمة منه إذ قال اللّه له <<كن>> فصار بشرًا سويًّا من غير أبٍ، مثلما أن خلق الله آدم عليه السلام من تراب من غير أبٍ من قبل (١).

والنص الثاني: "قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً " ٣٧/الكهف- وتأتى كلمة التّراب فى هذه الآية لتوبيخ الكافر المتكبر وتحقيره، ولتذكيره بأصل نشأته ومادة خلقه التّرابية(٢).

---

(١) القرطبي -جـ/٢-ص٦٦

(٢) تفسير النسفي- جـ/٣-ص١٣

أما النص الثالث: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن تُرَابٍ" ٥/الحج - وجاء هذا النص القرآني، لإبعاد الشك عن النفوس في قضية البعث، وذلك في عبارة قاطعة جازمة، لتدلّ على أن الذي خلق النّاس من تراب، قادرعلى أن يبعثهم أحياء بعد الموت (١).

والنص الرابع: "وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا" ١١/فاطر- وقال أيضا:

النص الخامس: "هُوَ الذِي خَلَقَكُمْ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً" ٦٧/غافر - وتحكي هاتان الآيتان تسلسل مراحل خلق الإنسان منذ الطورالأول الترابيّ، إلى أن أخرجهم الله أطفالاً، ثم بعد ذلك أصبح هذا الخلق أزواجًا.

وإن كان التّراب هو الطور الأول من أطوار خلق الإنسان، إلا أنه لايصلح لتشكيل هيئتة وتصوير خلقته بالصورة التي أرادها الله، لأن حبيباته غير متماسكة لا تثبت على حال ولا تستقر في هيئة،

---

(١) حاشية الصاوي -جـ/٣-ص٩٤

فكان لابد من إضافة الماء إليه حتى تتجمع ذراته وتتماسك مع بعضها البعض، وذلك لا لعجز في القدرة الإلهية بأن يخلق الله من التراب بشراً سوياً، فيقول له كن فيكون، ولكن تنفيذاً للمشيئة الرّبانية التي جعلت من الماء أساس الحياة في هذا الكون، تصديقا لقوله تعالى: "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ" ٣٠/الأنبياء- وقوله [من المآء] أي من جنس هذا المآء على اختلاف أنواعه، لأنه هو الأصل في جميع هذا الخلق (١).

كما يتوالى ذكر الماء كذلك مقرونا بالخلق في خمس آيات أخريات من القرآن الكريم، ويتكرر ذكره في ستة مواضع مثلما تكررت آيات التراب من قبل في ست آيات، وذلك في قوله تعالى:

النص الأول: "وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ" ٤٥/النور- أي من نوع معيّن من المآء خاص بهذا النوع من الدّواب (٢).

---

(١) الكشاف للزمخشري -جـ/٣/ص٧١
(٢) نفسه بنفس الموضع - وأشار المفسر -بالهامش- أنه قد يقصد بذلك المآء النطفة.

أمّا النص الثاني: "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا" ٥٤/الفرقان.

والنص الثالث: "الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ" ٨/٧/ السجدة.

والنص الرابع: "أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَآءٍ مَّهِينٍ" ٢٠/المرسلات.

أمّا النص الخامس: "فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ" ٥/٦/ الطارق.

وتشرح الآيات السابقة، أن خلق الإنسان وجميع الدّواب كان من المآء، وهذا المآء: إمّا أن يكون المراد منه جنس المآء، وفي هذا إشارة إلى أن أصل كلّ حيّ مخلوق من المآء، وإمّا أن يقصد به النّطفة، وهي نوع من المآء أيضًا (١).

واختلط الماء بالتّراب، كل أنواع الماء بجميع أشكال التّراب، فالماء خليط من الماء العذب الفرات والملح الأجاج والحلو والمرّ، وكذلك التّراب أيضا، فإنه

(١) القرطبي -جـ/١٣- ض٤٠

خليط من السّهول اللينة والجبال الصلبة والرمال الناعمة، وبألوانه المختلفة كذلك، أحمرها وأبيضها وأسودها، فنتج عن هذا الخليط عجينة طينيّة في شكلها، لكنها غريبة في تكوينها، إذ كانت حاوية لكل أسباب اختلاف البشر في أخلاقهم وألوانهم.

فاختلفت أخلاق البشر وألسنتهم وفقا لاختلاف نوع الماء، كما اختلفت ألوانهم وتنوعت أجسامهم وهيئتهم تبعا لاختلاف ألوان التراب، قال الله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ" ٢٢/الروم -فاختلاف الطبائع والأخلاق والألوان في ذرية سيدنا آدم عليه السلام، إنّما مرجعها إلى الطين الذي خلق منه، فما من أحد إلا وله جزء من ذلك سرى إليه من أبيه (١).

(١) حاشية الصاوي على الجلالين- جـ/٢-ص٣

[[الطِّينُ ... ثانيَ الأطوار]]

يشكل الطين ثاني الأطوار التي مرّ بها خلق الإنسان، في صورة أبيهم آدم عليه السلام، وهو مادة الخلق التي ورد ذكرها في قول الله تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً"٢/الأنعام- وينتج الطين عن اختلاط الماء بالتراب ومزج عناصر كل منها في بعضها البعض، فتتكون منها مادة جديدة مختلفة في صفاتها وتكوينها عن كل من التّراب والماء، وتكون في ظاهرها طرية ليّنة تصلح لتصوير الإنسان وتشكيل هيئته.

غير أن الطين في بداية تكوينه -عند اختلاط التّراب بالماء في أول الأمر- يكون شديد الطراوة كثيراللّيونة ليس له قوام بذاته، فيصعب تشكيله في صورة معينة، أوتجميعه في هيئة ثابتة لاتتغير، وذلك بسبب شدة الميوعة وكثرة الطراوة التي يكون عليها، وهذا ما يسمى بالطين اللازب، أي الذي يلتصق بعضه ببعض (١).

---

(١) القرطبي -جـ/١-ص١٩٣

ومع أن الطين اللازب لايصلح لتصوير الخلق وتشكيل هيئته، لكونه مائعًا غير متماسك يلصق باليد عند ملامسته، بسبب ما به من تلك الليونة والميوعة، إلا أن الله سبحانه وتعالى - عند توبيخه لكفار مكة- أكد خلق الإنسان من هذا الطين اللازب، مشيراً إلى أن القدرة الإلهية لايحدها حدّ ولايعوقها سبب، وكان ذلك مقابل تكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعنادهم في إنكار البعث وزعمهم بأنه لاحياة بعد الموت، فجاء هذا النص القرآنيّ الكريم ليقطع عليهم فكرهم ويخيب لهم ظنهم، في إعجاز بلاغي صريح، وإيجاز لغوي واضح، في قوله تعالى: "فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لازِبٍ" ١١/الصافات.

وفي الإشارة إلى أن الله قد خلق الإنسان من هذا الطين اللازب المائع- في الآية السابقة- كناية عن ضعف مادة خلقه، فلا يتكبر المشركون لأن إهلاكهم أيسر، وأن الله قادر على إحيائهم بعد الموت وإعادتهم يوم البعث، فناسب هذا المقال ذلك المقام (١).

---

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي -جـ/٢- ص٢٩٠.

كما يتحدث القرآن الكريم بمنطق قانون المادة في موضع آخر، فيقرر أن بداية خلق الإنسان كانت من الطين على إطلاقه، أي ذلك الطين الناتج عن اختلاط التّراب بالماء بالنسب المتوافقة وبالمقادير المفروضة أن تكون عليها، بحيث لا تزيد مادة على أخرى ولا يطغى عنصر على غيره، فيكون طينًا صالحًا لتشكيل الخلق وتصوير الهيئة في الصورة التي أرادها الله، فقد جاء في قوله تعالى: "الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ" ٧/السجدة – والإنسان يعني [آدم] – فقد خلقه من طين فصار على صورة بديعة وشكل حسن، فتبارك الله الذي أحسن كل شيء خلقه وهو أحسن الخالقين (١).

ويأتي اختلاف الألفاظ في القرآن الكريم عند وصف مادة خلق الإنسان، وفقًا لتنوع المواقف التي يقتضيها المقال واختلاف الأحوال التي خصها النزول كما تقدّم في الآيتين السّابقتين، ثم يستمر في عرض قصة الخلق منذ بدايتها وحتى آخر مراحلها (٢).

---

(١) فتح القدير للشوكاني- جـ/٤-ص.٢٥٠

(٢) مراحل الخلق هنا موجزة، ولاحقًا ستأتي تفصيلاً.

وأول ماترويه الآيات القرآنية الكريمة عن هذا المخلوق الطيني هو إعلان نبأ خلقه إلى الملآئكة وبيان صفاته لهم، فقد قال الله تعالى: "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ"٧١/ص- أي إني خالق فيما سيأتي من الزمن [خلقًا] من صفته أنه بشر، وأنه مخلوق من طين (١).

فتكون صفات هذا المخلوق التي أعلنها الله إلى الملآئكة، في الآية السابقة، هي على النحو التالي:

أولا: أن الله قد أسماه بشرًا، وذلك، إمّا لأنه مأخوذ من مباشرته للأرض، وإمّا لأنه سيكون ظاهر البشرة، أي أن جلده لايكسوه صوف ولاوبر ولاشعر ولاريش ولاقشر، فتكون بشرته ظاهرة للعيان (٢).

وثانيا: أن هذا [البشر] قد خلقه الله من طين ... وتلك هي البداية.

---

(١) فتح القدير للشوكاني- جـ/٤-ص٤٤٤
** سبق إعلان نبأ الخلق للملآئكة في سورة البقرة، [ورد في ص١]، أما هنا فهو إعلام لهم عن صفاته.
(٢) القول الأول من المرجع السابق، أما القول الثاني فمن حاشية الصاوي على الجلالين- جـ/٣-ص٣٦٣

ثم يتعرض القرآن الكريم إلى قضية التكاثر التي سيكون عليها الإنسان خلال فترة حياته في الدنيا، ويشرح قانون استمرار جنسه وبقاء نوعه، وذلك بأن تستخلص منه سلالة طينية أيضًا، تنسل من جسده وتنفصل عنه، فتكون هي مادة التكاثر بين البشر، ولأن الإنسان مخلوق من الطين فالسلالة طينية كذلك، قال الله تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ" ١٢/المؤمنون(١).

وفي النهاية، يكون المصير المحتوم لهذا التكوين الطيني الضعيف، إذ تمضي به الحياة سريعًا، وتأتي لحظة انتهاء أجله، فيفنى منهم خلق بانقضاء آجاله، ويبقى منهم خلق آخر في انتظار لحظة فناء حياتهم وانتهاء آجالهم كذلك، وهكذا تسير الحياة بهذا المخلوق الطيني إلى يوم الدين، قال تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ

---

(١) القرطبي-جـ/١٢-ص٧٣

** أشار المفسر إلى أن هذه السلالة من طين لأن أصلها من آدم عليه السلام وهو من الطين- والسلالة من السلّ - وهو استخراج الشيء من الشيء، فيقال: سللت الشعر من العجين.

تَمْتَرُونَ" ٢/الأنعام- فجمعت هذه الآية الكريمة بين بداية الخلق ونهايته، في إيجاز بلاغي شديد، وإعجاز قرآني عظيم (١).

فأما البداية فقد كانت من الطين كما سبق ذكره، وأما النهاية ... فقد قضى الله عزّ وجلّ فيها بأن لكل إنسان أجلين: أجل الموت- ويبدأ منذ خلقه وينتهي بموته، ويسمى أيضًا بأجل الدنيا، وأجل البعث- ويبدأ عند موته وينتهي ببعثه يوم القيامة، وهو البرزخ، ويظهر تفصيل ذلك من اختلاف العبارة في القرآن الكريم كما يلي (٢):

فعند الكلام عن أجل الموت، قال الله تعالى فيه، في الآية السابقة: [ثُمَّ قَضَى أَجَلاً] - و<<قضى>> يعني أظهر، و<<أجلاً>> أي تموتون عنده - فيكون المعنى: أنه بعد تمام خلقكم، يُظهر الله أجلكم هذا إلى الملآئكة

---

(١) تفسير النسفي- جـ/٢- ص٣ - وقال المفسر أيضا: أن الأجل الأول هو النوم، والثاني هوالموت، أوأن الثاني هو الأول، وتقديره [أجل مسمى أي معلوم] ولكن ماأخذ به في هذا الكتاب هو ماسيأتي بعد.

(١) حاشية الصاوي على الجلالين- جـ/٢-ص٣

الموكول إليها تدبير أموركم، وفي ذلك إشارة إلى أن أجل الموت معلوم لدى بعض الملآئكة، وبانقضائه يظهر أيضًا للخلآئق.

أما عند الحديث عن أجل البعث: فقد قال الله فيه في الآية السابقة أيضا: "وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِندَهُ" - وقد أضيف علم هذا الأجل إلى الله عزّ وجلّ لأنه لايعلم موعده إلاهو سبحانه وتعالى، فإنه لم يُطلع عليه أحد من خلقه أو من ملائكته، ولهذا... خصّ الله وصف هذا الأجل بأنه معلوم عنده، وليس عند سواه (١).

(١) المرجع الأخير- بنفس الموضع.

[[الطَّور الثالث ... الحَمأ المسنُون]]

يشكل الحمأ المسنون ثالث أطوار الخلق الطينيّة، وهو ناتج عن التغيرات الجوهريّة التي حدثت في شكل الطين اللازب وتكوينه، بسبب تعرّضه للعوامل الجوية المختلفة، إذ مكث هذا الطين في العراء مدة قيل عنها أربعون سنة، فأصبح مختلفًا اختلافًا تامًّا في شكله وتكوينه عن الحالة التي كان عليها في الطور السابق، وهو ما أسماه القرآن الكريم بالحمأ المسنون، قال تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ" ٢٦/الحجر.

و[الإنسان] هو آدم عليه السلام، لأنه أصل هذا النوع من الخلق، و[الحمأ] يعني الطين الأسود المتغيّر المتعفّن الذي تغيّرت صفاته، بسبب تعاقب الأزمان عليه، فصار أسود اللون متخمّرًا بفعل الرطوبة التي ظلت عالقة به ولم تتبخر طوال مدة وجوده في العرآء أمّا [المسنون] فتعني الطين المصبوب أو المصوّر، لأنه مأخوذ من سنة الوجه، أى صورته (١).

---

(١) فتح القدير للشوكاني- جـ/٣-ص١٣٠

ولهذا، فقد تم تصوير جسد سيدنا آدم عليه السلام من الحمإ المسنون في ذلك الطور، لأنه أصلح الأطوار الطينية لتشكيل الإنسان واكتمال هيئته وتصويره في الصورة التي جعله الله عليها، وذلك بسبب الحالة الجديدة التي آل إليها من التماسك وانعدام الميوعةمنه، وذهاب الليونة عنه.

وقد ورد في الحديث النّبوي الشريف، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:«إن الله خلق آدم من تراب فجعله طينا ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنونًا، خلقه وصوره ثم تركه حتى إذا صار صلصالا كالفخار- ثم نفخ فيه من روحه ... الحديث »(١).

وتم تشكيل صورة سيدنا آدم عليه السلام من هذا الحمأ المسنون، في الصورة التي أرادها الله أن يكون عليها في أحسن تقويم وأجمل تصويروقد جآء البشر من بعده على نفس الهيئة وتلك الصورة، ولكنها في تناقص دائم وتغيُّر مستمر، فقد ورد في الحديث

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب <بدء الخلق> باب <خلق آدم عليه السلام> جـ/٤-ص١٣١

الشريف، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - خلق الله عزّ وجلّ آدم على صورته، طوله ستون ذراعًا، فلمّا خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النّفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيّونك به، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: (ورحمة الله) قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، وطوله ستون ذراعًا، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن » ...الحديث (١).

والمقصود بقوله عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث: (خلق الله عزّ وجلّ آدم على صورته)- أي خلقه الله على تلك الصورة المعهودة عنه، فالضمير يعود لآدم عليه السلام، أي أن الله سبحانه وتعالى أوجده على الهيئة التي خلقه عليها، بأن خلقه كاملا سويًا كما شاء الله له أن يكون، ولم يتنقل في النشأة أحوالا ولم يتردد في الأرحام أطوارًا كما هو الحال في بني آدم وذريته من بعده ...

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه- في بيان صفة الجنة-جـ/١-ص٢٩٤

كما يشير هذا الحديث الشريف أيضا، إلى أن (كل من يدخل الجنة) يدخلها وهو على (صورة آدم عليه السلام)- أي من الحسن والجمال والطول والخلوّ من العاهات، فلايدخلها إنسان على صورته التي كان عليها في الدنيا - وأمّا قوله عليه الصلاة والسلام (فلم يزل الخلق ينقص) أي ينقص في الجمال والطول و(حتى الآن) تعني أنه انتهى التناقص إلى هذه الأمة فإذا دخلوا الجنة عادوا إلى ماكان عليه آدم عليه السلام من الحسن والجمال وطول القامة (١).

---

(١) الأحاديث القدسية -ص٩٧ <<شرح الحديث كاملا>>

[[الطور الرّابع ... الصّلصَال]]

يمثل الصّلصال الطور الرّابع من أطوار خلق آدم الطينية، إذ مكث جسده في العرآء بعد تصويره مدة أربعين سنة أخرى وهو كامل الهيئة تام الصورة، فتعاقبت عليه الأحوال الجوية المتغيّرة حينًا بعد حين، فطاب له الطقس أيامًا واشتدّ عليه أزمانًا حتى جفّ معظم ماكان به من مآء، وأصبحت أجزاؤه صلبة شديدة متماسكة، فصار إذا لطمته ريح أحدثت به جلجلة عالية وصدرت عنه صلصلة مدوية -مثلما يحدث عند قرع الطبول- وذلك بسبب صلابة جسده وفراغ جوفه، ولهذا سميّ الطين في هذا الطور بـ[الصلصال] في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ" ٢٨/الحجر- ويعتبرذلك إعلانًا ثالثًا من الله عزّ وجلّ للملآئكة عن هذا الخلق الجديد وصفاته (١).

و[بشرًا] هوسيدنا آدم عليه السلام، و[صلصال] تعنى الطين اليابس، وأمّا[حمإ مسنون] فهما صفتين

(١) يراجع ص١٨- من هذا الكتاب

للصلصال، فيكون المعنى: أن الله عزّ وجلّ، قد خلق آدم عليه السلام من الصلصال الذي هو كائن من الحمأ المسنون، فكأنّه -سبحانه وتعالى- أفرغ الحمأ فصوّر منها تمثال إنسان أجوفٍ، فيبس حتّى إذا نُقر صلصل، فجآء وصفه على نحو ماذكر في الآية السابقة (١).

ولا تناقض بين ما ورد في كلّ الآيات القرآنية السابقة التي تحدثت عن مادة خلق آدم عليه السلام، -حاشاه من التناقض وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا- ولكن تعدّد الوصف جآء لأنه عليه السلام كان أولا ترابًا فوُصف به مرة، ثمّ عُجن بالمآء فصار طينًا فجآء وصفه من هذا الطين مرّة أخرى، ثمّ أُمكث في العرآء فصار حمأ مسنونًا فوُصف بذلك، ثمّ صُوّر وتُرك حتى يبس فصار صلصالا، وهو ماذكرهنا(٢).

وقد وردت أطوار الخلق جميعها في مواضع متفرّقة من القرآن الكريم، وجاءت منفصلة عن

(١) الكشاف للزمخشري- جـ/٢- ص.٣٩٠ - وقد أشار المفسر إلى أن الصلصال هو الطين اليابس غير المطبوخ، فإذا طبخ في النار صار فخارًا.
(٢) تفسير النسفي- جـ/٢-ص٢٧٢

بعضها البعض، دون أن يرتبط أي طور منها بماقبله، إلا في هذا الموضع الذي ربط بين الطورين الثالث والرابع، فوردا مقترنين معًا في الآية الواحدة، وتكرر نصّها ثلاث مرّات في سورة واحدة كذلك،، منها ماورد في الآية السابقة، ومنها قوله تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ" ٢٦/ الحجر- ثمّ قوله تعالى: "قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ" ٣٣/الحجر.

وتتجلى روعة البيان في القصص القرآني ودقة وصفه لتلك المرحلة من مراحل الخلق، وربطها بالمرحلة السابقة عليها من عدة وجوه:

أولها: أن التّراب والطين في كل من الطورين الأول والثاني، كانا يختلفان عن بعضهما البعض اختلافًا جوهريًا في الشكل والتركيب، وكانا يغايران الحمأ المسنون فى الطور الثالث الذي أتى بعدهما، ولهذا ورد كل طور منها منفصلا عن الآخر، بسبب هذا الاختلاف وذلك التباين.

ثانيها: أن الصلصال في هذا الطور، لم يختلف

عن الحمأ المسنون في الطور السابق له، إلا في صفات تكوينه الدّاخلية فقط، أمّا الشكل الخارجي فلم يُلحقه تغيير أو يُصبه تبديل، فجآء القرآن الكريم بهذين الطورين متلازمين دآئمًا.

ثالثا: دلّ هذا التلازم وذلك الربط بين هذين الطورين، على أنه لاتغيير سوف يحدث لهذا الشكل وتلك الصورة، فإنها لن تتغيّر بعد هذا الطور أبدًا، فهو آخر الأطوار ومنتهى المراحل الطينية لهذا الخلق -فظلّت هيئته وصورته - وستظل بمشيئة الله كما هي عليه إلى يوم الدين (١).

(١) حاشية الصاوي على الجلالين -جـ/٤ - ص١٥٤ و-جـ/٢-ص٢٩٦- وقد ذكر المفسر أن الله لمّا ترك الطين حتى صار حمأ مسنونًا، صوّره كما تصور الأواني ثم أيبسه فصار صلصالا في غاية الصلابة ثمّ نفخ فيه الروح بعد مائة وعشرين سنة - أي باعتبار أربعين لكل طور-للطين وللحمأ المسنون وللصلصال، وهكذا أطوار بني آدم في بطون أمهاتهم، فتمكث النطفة في الرحم أربعين يوما، ثمّ تصير علقة ثمّ مضغة مثل ذلك أيضا لكليهما، ثم تنفخ فيه الروح بعد مائة وعشرين يوما.

ولأن الفكر البشري قد يعجز عن تصور المادة التي خلق منها الإنسان، أو أنه لايستطيع إدراك مدلول الآيات القرآنية التي وصفت له قصّة خلقه، ضرب الله لنا مثلا عن مادة الخلق، بتشبيه بليغ لآخر طور من أطوار الخلق الأربعة، ليقرّب إلى الأذهان الأصل الطيني لهذا المخلوق، وذلك في قوله تعالى: "خَلَقَ الإنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالفَخَّارِ" ١٤/الرحمن.

فشبهت هذه الآية الكريمة الصلصال الذي خلق منه سيدنا آدم عليه السلام، بالفخار الذي يستخدمه الإنسان في حياته، لأنه مادة معروفة لديه، يصنعها بنفسه ويصنع منها الأواني الفخارية التي يحتاجها في حياته ومعيشته، فكان هذا التشبيه أقرب وسيلة يدرك بها العقل البشري مادة خلقه الأولى، فتعيها الآذان الواعية ويعقلها أولوا الألباب، بمجرد سماعهم لتلك الآية الكريمة.

كما أفاد هذا التشبيه القرآني أيضًا، إلى أن الله عزّ وجلّ قد خلق الإنسان سليمًا نقيًا من العيوب، مثلما الفخار لايمكن استخدامه إلا إذا كان صحيحًا خاليًا من كل عيب.

وفي هذا المثل أيضا، نفحة إيمانية عميقة تربط بين الإنسان وربه على الدوام، ذلك بأنّه إذا نقر الإنسان على الأواني الفخاريّة مختبرًا سلامتها بسماع صلصلتها، تنبّه إلى مادة خلقه الصلصاليّة، ويعلم أن الطين اليابس لايتأتى تصويره إلا بالصنع والقدرة، فيذكر ربّه الذي خلقه منه، فيعيش في حضرته على الدّوام (١).

(١) قصص الأنبياء للنيسابوري -ص٢٣

[[النّفْخ منَ الرّوح]]
<< أكبَر تشريفٍ للبشريّة >>

قال الله عزّ وجلّ إلى الملآئكة قبل خلق آدم عليه السلام: "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَآئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ" ٧١/٧٢/ص- ففي هذه الآية خبر وأمر:

أمّا الخبر: فهو قوله سبحانه وتعالى إلى الملائكة: [إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ]- أي أنّي سأخلق خلقًاجديداً اسم جنسه (بشر) -لأن بشرته ستكون ظاهرة للأعين، وأنه مخلوق من الطين (١).

والمقصود من هذا الخبر- هو إعلان نبأ خلق سيدنا آدم عليه السلام إلى الملآئكة، لإظهار علامات تعظيمه وتوقيره إليهم، ولإثبات عجز الملآئكة عن علم الغيب فيما ظنّوا فيه من إفساد وسفك دمآء، ولإعلامهم كذلك، أن الخير من ذرّيته سيكون غالبا على الشرّ فيهم(٢).

---

(١) يراجع ص ١٨

(٢) حاشية الصاوي جـ/١-ص٢٠.

ومن هذا الخبر أيضًا - تتجلى مظاهر الرحمة الربّانية بالملائكة، إذ أخبرهم الله بهذا الخلق الجديد قبل أن يخلقه، كي لاتكون مادة خلقه الطينية غريبة عليهم عند مشاهدته -لكونهم مخلوقين من نور- ولكي يعلموا صفاته البشرية التي خلقه الله عليها، وما فيه من سر رباني ونفخة إلهية، وفي ذلك حماية لهم عن شبهة الاعتراض على هذا الخلق بعد إيجاده وخلقه واستخلافه في الأرض (١).

وأما الأمر في الآية السابقة: فهو أمر من الله عزّ وجلّ إلى الملائكة بالسجود لهذا المخلوق الجديد بقوله تعالى: [فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ] - لكن هذا السجود لا يقع منهم إلا إذا تحقق له شرطان متلازمان:

---

(١) الكشاف للزمخشري -جـ/١-ص٢٧١

** وأشار المؤلف إلى أن في هذا الخبر أيضًا، تعليم للعباد كيفية المشاورة في الأمر، ولو من العظيم إلى من هم دونه أو أقل منه، وحتى مع علمه المسبق بما يشاورهم فيه.

(٢) مختصر ابن كثير- جـ/٣-ص٢٠٩

أولهما - تمام الخلق واستواؤه، ويظهر ذلك من قوله تعالى: [فَإِذَا سَوَّيْتُهُ] - أي أتممت خلقه وعدّلته، وهذا يدل على انتهاء تشكيله واكتمال صورته وخلوّه من العيوب (١).

أما الشرط الثاني- فهو النفخ من الروح في هذا الجسد السوي، كما في قوله تعالى: [وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي] - والروح هنا منسوب إلى الله عزّ وجلّ، لأنها تعني الروح الذي يملكه سبحانه وتعالى ولايملكه أحد غيره، فهي سره المكنون ومن أمره وحده (٢).

وجآء ارتباط النفخ من الرّوح هنا بتمام الخلقة وتسويتها مع إضافة الروح إلى الله سبحانه وتعالى، دليلا على شرف الروح وعظمتها، إذ لايليق بها أن تنفخ في جسد ناقص غير سوي، أو في صورة ليست كاملة، أو في هيئة غير تامة، فكان ذلك تشريفًا لسيدنا آدم عليه الصلاة والسلام، ومن بعده أكبر تشريف للبشرية جمعآء (٣).

---

(١) المرجع قبل الأخير- جـ/٣-ص٣٨٢
(٢) القرطبي جـ/١٥-ص١٤٨
(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي - جـ/٢-ص٣١٥

وبهذه الآية الكريمة أيضا، تستكمل التشريفات الأربع التي شرّف الله بها سيدنا آدم عليه السلام على سائر الخلق، وهي كالآتي (١):

أولها: أن الله سبحانه وتعالى قد خلقه بيديه، قال تعالى: "قَالَ يَاإِبْلِيسَ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ" ٧٥/ص- و[بيديّ] دليل كمال الاعتناء.

وثانيها: النفخ فيه من روح الله وهو ماورد في قوله تعالى: "وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي" ٧٢/ص.

وثالثها: فقد علّمه الله الأسماء كلها دون الملائكة، قال تعالى: "وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَآءَ كُلَّهَا" ٣١/البقرة.

أما رابع هذه التشريفات: فهو صدور الأمر من الله للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام بقوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ" ٣٤/البقرة- وهذا تمام الشرف وكمال المنزلة.

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير-ص١٥-وقد ورد فيه أن تعليم آدم الأسماء بعد السجود، ولكن تم إعادة الترتيب ليتمشى الترتيب مع التفاسيرالتي أُخذ بها في هذا الكتاب - [يراجع ص٨].

ثم يستكمل النصّ القرآني شرح هذا الموقف من قصة الخلق في قول الله تعالى: "فَسَجَدَ المَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إلاّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ" ٧٣/٧٤/ص- فدلّ قوله تعالى [فسجدوا] على أن السجود قد حصل فور اكتمال الشرطين بدون تباطؤ في التنفيذ أوتراخٍ في الاستجابة، فكان هذا الانصياع السريع من الملائكة للأمر، احتراماً وامتثالاً لأمر الله عزّ وجلّ وتقديراً وتنفيذاً لمشيئته، كما كان سجودهم هذا إكراماً وتعظيماً وتوقيراً لما في هذا الجسد من نفخة من روح الله (١).

ولنا في الموت فكرة وعبرة، إذ يذكرنا دائماً بعظمة الرّوح التي كان يعيش بها هذا الجسد الطيني ويحيا بها ويتنفس، فعند ماينتفي أحد الشرطين السابقين اللذين أوجبا السجود لآدم عليه السلام، وذلك بخروج الروح من الجسد وصعودها إلى بارئها، يبقى الجسد خاليا بلاروح ، وتصبح الجثة مادة طينية كما كانت عليه قبل السجود لآدم عليه السلام، يصبح الجسد بلا حياة ولاحركة، وتلك هي الفكرة.

---

(١) مختصر ابن كثير- جـ/٢-ص٢٠٩

وإذا ما وضعت الجثة أمام القبلة، وتهيأ القوم لتأدية صلاة الجنازة عليها، كانت تلك الجثة حائلا بين الناس وبين القبلة دون السجود، فتؤدى الصلاة وقوفا بلاركوع أوسجود، فيتذكر الإنسان فضل الله عليه، إذ أحياه بما أودعه فيه من روحه وشرفه بها على سائرخلقه ومن ذلك تكون العبرة (١).

---

(١) هذا تحليل الكاتب، أما صلاة الجنازة شرعا فإنها ليست صلاة عبادة، ولكنها صلاة توسل ودعاء وشفاعة للمصلى عليه، لعل الله أن يشمله بواسع رحمته بهذا الدعاء وبسبب تلك الشفاعة.

[[السُّجود لآدَم عليه السَّلام]]

عندما تحقق كل من شرطيّ السجود من التسوية والنفخ من الروح في جسد آدم عليه السلام، سجد له الملآئكة سجود تحية وتعظيم وتوقير، إلا إبليس لم يكن مع الساجدين، قال تعالى: "فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبىَ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ" ٣٠/٣١/الحجر- وسجد الملآئكة [كُلُّهُم] في اتحاد جنس، و[أَجْمَعُون] في اتحاد فعل (١).

أمّا كلمة [كلهم] في هذه الآية، فإنها تعني العموم والإحاطة والشمول التام لجنس الملائكة، أي أنه لم يتخلف أحد من جنس الملآئكة عن السجود إلا إبليس، وأمّا كلمة [أجمعون] فهي تشير إلى اجتماع الملائكة على السجود دفعة واحدة، وتدل على اتحادهم في الفعل وتوافقهم في العمل، أي أنّهم سجدوا جميعًا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات مختلفة، إذ كان من الممكن أن يسجد كل منهم منفردًا في وقت معين ولايكون ذلك معصية (١).

---

(١) حاشية الصاوي على الجلالين-جـ/٣-ص٦٣

ولم تذكر الآية -أوغيرها- كيفية هذا السجود، أهو سجود شرعيّ بوضع الجبهة على الأرض كالمعهود في الصلاة -فيكون سجودًا لله وآدم قبلتهم، كسجود المسلمين لله وقبلتهم الكعبة الشريفة- أم إنه سجود تحية وتعظيم وتكريم لآدم بالانحناء، كسجود أخوة يوسف وأبويه له -كما كانت عليه تحيّة الملوك في الأمم السابقة- أوأنه سجود لذات آدم تنفيذًا لأمراللّه بغير هوىً في النفس -فيكون هو أيضًا، سجودًا لله وامتثالا لأمره وعملا بمراده وتنفيذًا لمشيئته (١).

ولا تهم معرفة كيفية السجود الحاصل من الملآئكة لآدم عليه السلام -كما لايضرالجهل بها- إنّما هو أمر الله الواجب النّفاذ، إذ المقصود تنفيذ أمر وليس تشكيل هيئة، فالملائكة لايعنيهم سوى طاعة الله، فكما أُمروا فعلوا، ولأي وجهة كان السّجود فإنهم سجدوا وامتثلوا، فصارسجودهم، سجودًا جامعًا لكل أنواع الفهوم والمعاني شاملاً لجميع الهيئات والصور: فكان سجود طاعةٍ وامتثال لأمرالله، وسجود تقرير وإقرار بعظمة خلق اللّه، وسجود تحيةٍ وتعظيم

(١) أسرار التنزيل للبيضاوي-جـ/١-ص٤٨

وإجلال وتفخيم لآدم عليه السلام، قال الله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِاسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلآإِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ"٣٤/البقرة- ولم يتخلف أحد من هذا الكل الإيماني وذلك الجمع الملائكي سوى إبليس اللعين(١).

ويشرح القرآن الكريم سبب تخلف إبليس عن السجود في عدة أسباب منها:

أولها: أن وجود إبليس مع الملآئكة وصحبته لهم لم تكن لاتحاد جنس أو توافق نوع، لأنه لم يكن من جنسهم أصلاً، ولم يتحد معهم في أصل نشأتهم أبداً، فهو يخالفهم في الأصل ويغايرهم في النشأة، لأنهم مخلوقون من نور، وهو من الجنّ أصلاً، والجنّ من نار، قال تعالى يصف مادة خلقه: "وَخَلَقَ الْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ"١٥/الرحمن- والمارج تعني إمّا النار الصافية التى لادخان فيها، وإمّا النار المختلطة بالدخان الأسود الذي يتصاعد منها(٢).

---

(١) القرطبي-جـ/١-ص٢٠١
(٢) الكشاف للزمخشري-جـ/٤-ص٤٥

ثانيها: أنه عليه اللعنة، كان لايشارك الملائكة أوصافهم ولايتحد معهم في صفاتهم، فهم مجبولون على السمع والطاعة لايعصون الله مآأمرهم ويفعلون مايؤمرون، أمّا هو فقد كان له الخيار فيما يفعل، فسلك طريق الكفر والغيّ، وردّ الأمرعلى الآمربه، قال الله تعالى: "فَسَجَدُوا إِلاَّإِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ". ٥٠/الكهف-و[فسق] أي خرج عن طاعة ربّه بترك السجود (١).

ثالثها: أنه عليه اللعنة قد تمرّد على السجود لاختلاف فكره وفساد عقيدته أيضًا، إذ قارن وفاضل بين الطين والنار، ورأى أنّ الطين ظلمانيّ وأنه أخسّ العناصر وأدناها منزلة، وأنّ النارالتي خلق منها هي أشرف هذه العناصر وأعلاها مرتبة، قال الله تعالى: "قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ" ٣٣/الحجر- وقصد إبليس اللعين بهذا القول أن ينتقص من قدر آدم عليه السلام باعتبار النوع والأصل (٢).

---

(١) حاشية الصاوي على الجلالين جـ/٣-ص١٧
(١) أنوار التنزيل للبيضاوي-جـ/١-ص٥٤١

ورابع هذه الأسباب: أن إبليس اللعين كان يُظهر خلاف مايُبطن، إذ كان قلبه مليئًا بالحقد والحسد على آدم عليه السلام، فأدّى به ذلك إلى التكبر والاستعلاء ظنًا منه بأنه أقوى منه وأقدر عليه،لكونه مخلوق من نار ليست كسائر النّيران، قال الله سبحانه وتعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وَالْجَانَ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ" ٢٦/٢٧/ الحجر-و[نارالسّموم] هي نار لادخان لها شديدة الأثر على الإنسان عظيمة الوقع على المخلوقات، تتخلل الأجسام بسرعة فائقة لما فيها من لطف المسام وشدة الحرارة، فتسبب له الموت والهلاك (١).

أمّا خامسها: فهي أن إبليس اللعين رأى في نفسه الخيرية على سيدنا آدم عليه السلام، من وجهين: أولهما: أنه قد خلق قبله، وذلك من قوله تعالى في الآية السابقة: [مِن قَبْل] أي من قبل أن يخلق الله آدم عليه السلام، فهو أقدم منه في الخلق والإيجاد، وثانيها: أنه تطاول في الحضرة الربّانية، لأنه فضّل النار على الطين بالقياس، وجعله سببًا لامتناعه عن

---

(١) حاشية الصاوي على الجلالين- جـ/٢-ص٢٩٦

السجود، قال تعالى: "قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ" ١٢/الأعراف-أي أن الذي منعني من السجود كوني أفضل منه بسبب خفّة النّار التي أنا منها وعلوّها على الطين، ولكونها جوهر مضيء، فكان أوّل من قاس فأخطأ القياس(١).

وأخطأ إبليس القياس بجهله -رغم ما كان عليه من علم وفير- من عدة وجوه:

أحدها: أن من جوهر الطين تكون الرزانة والوقار والأناة والحلم والحياء والصبر، أما من جوهر النار فتكون الخفة والطيش والحدة والاضطراب.

وثانيها: أن النار سبب العذاب من الله لأعدائه وليس التراب سببا للعذاب.

وثالثها: أن الطين مستغنٍ عن النار أمّا النار فمحتاجة إلى مكان ومكانها التراب.

ورابعها: أنه جآء في الخبر أن تراب الجنة مسك أذفر بينما لم ينطق الخبربأن في الجنة نارًا (٢).

---

(١) القرطبي-جـ/١٠-ص١٧ لأولاً-جـ/٧-ص١١١ لثانيًا
(٢) نفسه-الموضع الأخير.

أما خامس تلك الوجوه التي أخطأ بها إبليس القياس في ظنّه: فهو أن مآل النار إلى الرماد الذي لانفع فيه، أمّا مآل الطين البقاء، فهو أساس الحياة لجميع المخلوقات على هذه الأرض، فاجتمعت كل هذه الأسباب في نفس إبليس، فمنعته عن السجود، فحقّت عليه لعنة الله والناس أجمعين (١).

(١) حاشية الصاوي على الجلالين-جـ/٣-ص٣٦٤

[[معْصيَة إبليسَ ... ثلاثٌ فِي واحدة]]

بدأت قصة عصيان إبليس اللعين، منذ أن أضمر في نفسه ألاّيسجد لآدم عليه السلام إذا أمره الله عزَّ وجلَّ بذلك، وكان هذا حين قال الله للملآئكة: "فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ" ٢٩/الحجر(١) -فعلم عليه اللعنة أن هذا الأمر تشريف للمسجود له، فعندئذ أضمر في نفسه بألاّ يسجد له أبدًا، فلمّا أن خلق الله آدم عليه السلام وحان وقت السجود، وقع الملائكة سُجّدًا وبقي إبليس قائمًا ولم يسجد، فأظهر قيامه ماكان فى ضميره (٢).

وناداه الله عزّ وجلّ بقوله الكريم: "قَالَ مَامَنَعَكَ أَلاَّتَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ" ١٢/الأعراف- أي كأنّ الله قد سأله «من دعاك إلى ألاّتسجد؟» فكان الذي دعاه إلى ترك السجود هو الكبر والحسد الذي كان يضمره في نفسه، فأخذته العزة بالإثم وتعلل قائلا: "أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ" ١٢/الأعراف - فكان

---

(١) تكرر نص الآية مرة أخرى في ٧٢/ص

(٢) القرطبي جـ/٧-ص.١١٠

أن رأى بأنه لايليق بالأفضل أن يسجد لمن كان دونه منزلة أو أقل مكانة (١).

وتكرر هذا السؤال التوبيخيّ مرة ثانية من الله لإبليس في قوله تعالى: "قَالَ يَآإِبْلِيسُ مَالَكَ أَلاتَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ" ٣٢/الحجر- أي ماالمانع لك في ألاّتكون مع الساجدين؟ فجآء جواب إبليس اللعين مرة أخرى عنادًا وإبآءً - كما في قوله تعالى: "قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ من صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ" ٣٣/الحجر.

ثمّ تكرر هذا السؤال مرة ثالثة من الحق سبحانه وتعالى في موضع آخر من القرآن الكريم في قوله تعالى: "قَالَ يَآإِبْلِيسُ مَامَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ" ٧٥/ص - أي مالذي صرفك وصدّك عن أن تسجد؟ -و[خَلَقْتُ بِيَدَيَّ] أي توليت خلقه بذاتي من غير واسطة- و[الْعَالِينَ] أي المتكبرين على ربّك.- كما تأتى [بيدَي] لتثنية اليد المنسوبة إلى الله إظهارًا لكمال الاعتناء بخلقه- وهذا تشريف لسيدنا آدم عليه السلام (٢).

---

(١) المرجع الأخير - بنفس الموضع

(٢) الصاوي-جـ/٣-ص٣٦٤-والقرطبي جـ/١٥-ص١٤٨

ويأتي جواب إبليس اللعين للمرّة الثالثة أيضاً، حاملاً في طياته الاستكبار والكفر والفسوق، وليظهر ماكان في نفسه، كما في قوله تعالى: "قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ"٧٦/ص.

ويدلّ اختلاف العبارة في هذه الأسئلة الثلاثة، على أن إبليس اللعين قد أدرج في معصية واحدة ثلاث معاصٍ، فجاءت معصيته واحدة في مظهرها مركبة في جوهرها (١):

وأول مرتبة من مراتب هذه المعصية الإبليسية المركبة، هي الإباء والامتناع عن السجود وعصيان أمرالله، فقد ردَّ الأمرعلى الآمر به، وهو الله عزَّ وجلَّ، وأبى أن يكون مع الساجدين، قال تعالى: "إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ" ٣١/الحجر.

ويبدأ الشق الثاني من المعصية الإبليسية وهو التكبر، إذ كان جوابه على الحقّ سبحانه وتعالى، بلهجة المتكبر في أربعة مواضع من القرآن الكريم،

(١) المرجع الأخير– جـ/٢–ص٦٥ – للثلاثة أقسام، وقال المفسر بأنها أول معصية ظهرت في الخلق.

وذلك عند توضيح سبب امتناعه عن السجود، فقد جآء في قوله تعالى: "قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ" في كل من١٢/الأعراف و٧٦/ص، وفي قوله تعالى: "قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ" الحجر/٣٣- ثم قوله تعالى: "قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا" ٦٣/الإسرآء.

ولم يذكر إبليس اللعين لفظ التكبر أو الاستعلاء فى الآيات الأربع السابقة صراحة، بل كان حواره مع ربّه مجرد تفضيل لنفسه وتحقير للطين الذي خلق منه آدم عليه السلام، لكن الله عزّ وجلّ، أظهر تكبّره وتعاليه، بكل من إشارة بليغة ودليل صريح في القرآن الكريم:

فأمّا الإشارة: ففي قوله تعالى عندما سأل الله عزّ وجلّ إبليس اللعين عن سبب امتناعه عن السجود قائلا: "قَالَ مَامَنَعَكَ أَلاَّتَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ" ١٢/الأعراف- فكان من المفروض أن يكون جواب إبليس : «منعني كذا وكذا »، لكن اللعين أجاب بقوله: "قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ" ١٢/الأعراف- فدلّ ذلك التحويل في الكلام على أنّ إبليس من تكبّره

واستعلائه كأنه قال لربّه عزّ وجلّ: [من كان على مثل صفاتي هذه من التفضيل والخيريّة، كان مستبعداً عليه أن يُؤمر بما أمرت به من السّجود](١).

أمّا الدّليل: فهو أن جاءه الردّ من الله سبحانه وتعالى واضحاً صريحاً يفضح فيه تكبّره ويُظهر به تعاليه، لأنه عزّ وجلّ كان يعلم مافي نفسه وما يجيش به صدره، وليس بعد قول الله دليل ولا برهان، فقد صرّح الله بذلك في أربعة مواضع من القرآن الكريم -كما كان جواب إبليس في أربعة مواضع أيضاً- فجاء في قول الله تعالى: "فَسَجَدوُاْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ" ٣٤/البقرة - وفي قوله أيضا: "فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا" ١٣/الأعراف- ثمّ تكرر ذكر التكبُّر مرّتين في موضع واحد في قوله تعالى: "إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالَ يَاإِبْلِيسَ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ" ٧٤/ ٧٥/ص - فأضاف إبليس اللعين بذلك التكبّر والاستعلاء معصية ثانية على عصيانه الأول، فجمع بذلك بين الإباء والتكبّر.

---

(١) الكشاف للزمخشري- جـ/٢-ص٦٨

ثم تأتي المرتبة الثالثة من المعصية الإبليسية المركبة، وهي مرتبة الكفر والفسوق عن أمر الله - وليس بعد الكفر ذنب -قال تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ" ٥٠/الكهف -أي فخرج بكفره هذا من حظيرة الطاعة الرّبانية، فإنّ الفسق هو الخروج (١).

وتتجلى بلاغة العرض القرآني العظيم، عندما يستعرض الحقّ سبحانه وتعالى المعصية الإبليسيّة المركبة، فيجمعها في آية واحدة بنفس الترتيب الذي بدأ به إبليس مراحل معاصيه الثلاث في قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ" ٣٤/البقرة.

فذكرت الآية السابقة، الإباء في المقام الأول لهذه المراحل الثلاث، لأنه نتج عن الشعور الدّفين في نفس إبليس بأفضليتة على آدم عليه السلام، فلما صدر الأمرالإلهي بالسجود، سيطرت مشاعره الداخلية على أفعاله الخارجية، وأظهرت نفسه ماخبأت من قبل وأبطنت، فكان منه الإباء والامتناع في أول الأمر،

(١) مختصر ابن كثير-جـ/٢-ص٤٢٤

وجاءت كلمة [أبَى] لتعني الامتناع باختيار(١).

ثم رأى إبليس في نفسه كبرًا واستعلاءً عندما عاتبه الله سبحانه وتعالى على عدم السجود، فأعلن ماكان في نفسه من ذلك الكبر والاستعلاء صراحة، واستعظم اتخاذ السجود لآدم وسيلة للعبادة، أو أن يجعلها وصلة بينه وبين ربّه، فجاءت الآية بكلمة [وَاسْتَكْبَرَ] في الترتيب الثاني للمعصية، وأضيفت السين على الكلمة تأكيدًا على هذا التكبر (٢).

وفي النهاية ... جاء وصف الآية الكريمة لإبليس بأنه كان من الكافرين، وتدل كلمة [كَانَ] على كفره في علم الله أزلاً (٣).

---

(١) ، (٢) أسرار التنزيل للبيضاوي -جـ/١-ص٤٨
(٣) تفسير النسفي جـ/١-ص٤٢

[[الجَزآءُ المركّب لإبليسَ]]

حقّ العقاب الإلهي على إبليس اللعين مركبًا من ثلاثة أنواع من الجزآءات، مثلما كانت معصيته مركبة من ثلاث معاصٍ، فكان أن [أُهبط فأُخرج] أوّلا، ثمّ [أُخرج وأُهبط] ثانيًا، ثمّ [حلّت عليه لعنة الله والنّاس أجمعين] ثالثًا.

وجآءت هذه الجزآءات الثلاثة مركبة في ذاتها، إذ كان كل جزآء منها مركبًا في ذاته من جزأين، فقد حقّ عليه نوعان من كلّ الهبوط ومن الطرد، كماحلت عليه لعنتان دائمتان أبديّتان، تشملانه بغضب شديد من الله إلى يوم الدين.

ويتجلى العدل الإلهي في تقرير جزآءات إبليس اللعين في صورها الثلاث، فيما يلي (١):

---

(١) عرض هذه المقابلة بين كل معصية وجزآئها مع تجزئة العقوبات كما سيأتي بعد -من الكاتب - إذ وردت في مواضع متفرقة من القرآن الكريم، فكان ترتيبها هكذا أدعى للوضوح، وأيسر في إظهار المقصود، كما ورد في التفاسير المختلفة.

فقد كان الهبوط عقابًا لامتناعه عن السجود، ثمّ حقّ عليه الإخراج والطرد مقابل تكبره واستعلائه في الحضرة الإلهية، أما اللعن فكان جزاءً وفاقا لكفره، فكانت تلك الجزاءات له من الله إنصافًا وعدلاً.

فأمّا نوعيّ الطرد فهما:

أولا: إخراجه عن مكانته التي كان عليها قبل المعصية، فقد أُخرج اللعين من مقام العزّة والتكريم، وطُرد إلى مستوى الذّلة والمهانة، وانتهى به الحال إلى منزلةٍ وضيعةٍ ومكانةٍ خسيسةٍ، بعيداً عن منزلته التي كان ينعم فيها بجوار ربّه وفي حضرة قدسه، فقد جاء في قوله تعالى: "فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ" ١٣/الأعراف-وكلمة [الصّاغرين] تعني الذّليلين الذين أشربت في نفوسهم الذّلة والمهانة، وبذلك فقد أُخرج إبليس من مكانته وطرد عن منزلته، فكان الصّغار مقابل الاستكبار(١).

ثانيا: وحقّ على إبليس النوع الثاني من الطرد، وهو الطرد المكانيّ، إذ أخرجه الله من مكانه الذي كان

---

(١) تفسير النسفي- جـ/٢-ص٤٦

يرتع فيه في الجنّة، فور ظهور مخالفته، قال تعالى: "قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ" ٣٤/الحجر- وتكررنفس الأمر في موضع آخر في قوله تعالى: "قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ" ٧٨/ص-و[أخرج منها] أي من الجنة -وقيل من السمآء وهما سواء في المعنى- و[رجيم] تعني المطرود من المكان الذي كان فيه (١).

وجمع القرآن الكريم بين النوعين من الطرد معا في إيجاز بلاغي شديد، وذلك في قول الله تعالى: "قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءومًا مَدْحورًا" ١٨/الأعراف - و[المذءوم] هو الممقوت المعيب، و[المدحور] هو المطرود أوالمقصيّ المستبعد (٢).

وباجتماع هذين النوعين من الطرد لإبليس، يكون قد تمّ إخراجه عن مكانته، وإقصاؤه عن مكانه، لكنه ظلّ خارج الجنّة في السمآء الدنيا، وذلك لنفاذ المشيئة الإلهية، وثبوت الحكمة الرّبانية من وجوده فيها، كما سيأتي بإذنه تعالى(٣).

---

(١) حاشية الصاوي جـ/٢-ص٢٩٧-وجـ/٣-ص٣٦٤
(٢) مختصر ابن كثير-جـ/٢-ص١٠
(٣) يراجع ص ١٠٩ من هذا الكتاب.

أمّا نوعيّ الهبوط فهما (١):

أولا: الهبوط الأول وهو [هبوط عن منزلة] : فقد أهبطه الله عزّ وجلّ عن مكانته المرموقة التي كان يعيش فيها في رحاب الملائكة بالعالم العلوي -وذلك قبل أن يُطرد من الجنّة- وذلك بقوله تعالى: "قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا"

---

(١) الطرد غيرالهبوط، فقد يحصل الطرد من مكان إلي مكان، بينما تظل منزلة المطرود وقدره كماً هي عليه دون تغير أونقصان، فإذا حلّ به الهبوط عن تلك المنزلة، انتزعت منه تلك المكانة وزال عنه ذلك القدر.

** وأيضاً، فقد يحدث الطرد من مقام إلى مقام، وينتقل المطرود من مقام العزّة إلى مقام الذّلة، ولكنه يبقى في مكانه لايتركه، فيأتي الهبوط ليخرجه عن هذا المكان، وكلاهما قد حدث لإبليس اللعين حقا.

وذلك باعتبارأن:

الطرد يعني: طرد من مكان، وطرد عن مقام.

والهبوط أيضاً: هبوط عن مقام، وهبوط من مكان.

[تنويه : هذا التصنيف من الكاتب]

[لكنها وردت في التفاسير متفرقة]

١٣/الأعراف فأهبط من منزلته التي كان ينعم فيها، في الملكوت الأعلى، وأُنزل إلى الدرك الأسفل من الذلّ والمهانة، فأصبح صاغرًا ذليلاً مهانًا ممقوتًا(١).

وقد اجتمع لإبليس اللعين كل من هذا الهبوط والطرد الأول في آية واحدة، وذلك في قوله تعالى: "قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ"١٣/الأعْراف- وبذلك يكون إبليس اللعين قد أُهبط أولاً عن منزلته بقوله تعالى [فاهبط منها] كما سبق ذكره، ثم أُخرج ثانيًا من رداءِ الكبر الذي اتّخذه لنفسه، بقوله تعالى [فاخرج إنك من الصاغرين] أي ممن أهانه الله لتكبّره (٢).

ثانيا: أمّا الهبوط الثاني فهو [هبوط من مكان]: فقد حدث هذا الهبوط لإبليس اللعين من السمآء الدّنيا إلى الأرض، وذلك بعد أن وسوس لآدم عليه السلام بالأكل من الشجرة المنهى عنها وأزلّهما عنها، فقد قال الله تعالى: "قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" ١٢٣/طه - والخطاب هنا بكلمة [اهْبِطَا]

(١) مختصر ابن كثير-جـ/٢-ص٨
(٢) يراجع ص٥٣ -وفي البيضاوي جـ/١-ص٣٤٣

لكل من سيدنا آدم عليه السلام ولإبليس اللعين، و[مِنْهَا] تعني من السمآء الدنيا، فهبط من مكانه هنا مثلما هبط عن مكانته من قبل، وانتقل من السمآء إلى الأرض التي جعلها الله مستقراً للهابطين إلى يوم الدين (١).

وأصبح إبليس اللعينِ عدواً لبني آدم ولذريّته بعد أن أُهبط إلى الأرض، فقد قال تعالى: "وَقُلْنَا اهْبطواُ بَعْضُكُمْ لبَعْضٍ عَدوٌّ وَلَكُمْ فى الأرْض مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إلى حِينٍ" ٣٦/ البقرة - ثم تكرر الأمر الرباني بهذا الهبوط المكاني مرة أخرى، وفي نفس الموضع من القرآن الكريم في قوله تعالى: "قُلْنَا اهْبِطواُ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاهُمْ يَحْزَنونَ" ٣٨/البقرة -فكان أمر الهبوط في الآية الأولى، أمراً بالهبوط إلى الأرض للاستقرار فيها مع ثبوت العداوة والبغضاء بين إبليس وبين الهابطين جميعاً، أما الأمر في الآية الثانية فقد أفاد الهبوط مع نزول التكاليف الشرعية، وأن السعادة أوالشقاء فإنها مترتبة على

(١) القرطبي-جـ/١١-ص١٧١

التمسك بهذه التكاليف أوفي الابتعاد عنها، هذا ... ويعتبر الأمر في كلا الآيتين أمراً بالهبوط المكاني لإبليس عليه اللعنة (١).

وخلاصة ماسبق: أنه قد حلّ بإبليس مايلي:

هبوط من مكانة ... وإخراج عن منزلة.

ثمّ إخراج من الجنة ... ثم هبوط إلى الأرض.

ثم يأتي دور اللّعنتين اللّتين حلّتا على إبليس من الله عزّ وجلّ، وهما لعنة من الله ولعنة من الخلق، وتحلان عليه قبل مجيء يوم الدّين وبعده، كمايأتي:

أما اللعنة الأولى: فهي اللعنة التي حلّت عليه من الله سبحانه وتعالى بقوله: "قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلى يَوْمِ الدِّينِ" ٧٧/ ٧٨/ص- و[لَعْنَتِي] أي إبعادي على سبيل السّخط، واللعنة هنا مضافة إلى الله عزّ وجلّ، لتدل على كمال

---

(١) المرجع السابق -جـ/١-ص٢٢٤- وأشار المفسر إلى أن تكرار الأمر لإبليس، قد يرجع إلى أن الأمر الأول يعني الهبوط من الجنة إلى السماء الدنيا، أما الأمر الثاني فللبوط من السماء إلى الأرض.

فظاعتها، وعلى أنها لعنة من جهته سبحانه وتعالى، فتأتي حسب قدرته عزّ وجلّ، وتتناسب مع معصية إبليس اللعين (١).

أمّا اللعنة الثانية: فهي لعنة الخلق التي وردت في قول الله تعالى: "قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ" ٣٥/الحجر- وتأتي كلمة [اللَّعْنَةَ] هنا <<معرّفة بأل>> لتدلّ على أنّها لعنة تشمل كلّ لعنات اللاعنين من الملائكة والثقلين جميعًا -أي الإنس والجن- فهم يدعون عليه بلعنة الله تعالى، وبإبعاده عن رحمته سبحانه(٢).

أمّا زمن هذه اللعنات وأمدها: ففي قوله تعالى: [إِلَى يَوْمِ الدِّين] في كل من الآيتين السابقتين، إشارة إلى أنها لعنة أبدية سرمدية، وأنها تحلّ عليه قبل مجيء يوم الدين وبعده (٣):

---

(١) روح المعاني- للآلوسي-جـ/٢٣-ص٢٢٨
(٢) نفسه جـ/١٤/ص٤٦
(٣) حاشية الصاوي على الجلالين-جـ/٣-ص٣٦٤- وقال المفسر: مع أن <إلى> تشير إلى انتهاء الغاية، إلاأن اللعنة دائمة لاتنقطع- كما سيأتي شرحه.

فأما حلول اللعنة عليه قبل مجيء يوم الدين:
فيكون من الله عزّ وجلّ بوعيده لإبليس بالخلود في العذاب المهين، ومن الخلق بطلب ذلك من الله والدعآء عليه باللعنة، فتكون عليه هذه اللعنات في الدنيا، انقطاع من نيل فيض الله سبحانه وتعالى، وحرمان من عظيم توفيقه.

وأمّا اللعنة التي هي بعد مجيء يوم الدّين:
فتكون من الله بتحقق وعده وبصدق وعيده لإبليس، ومن الخلق بإجابة الله مطالبهم ودعاءهم عليه (١).

---

(١) أشار الآلوسي في الموضع السابق، في هذا المقام، ونحا غيره نحوه، إلى أن قوله تعالى: [إلى يوم الدّين] يعني أن لعنة الخلائق ستنقطع بمجيء يوم الدين، ثمّ تحل عليه لعنة الله بعد مجيئه، فتصيراللعنة متصلة إلى الأبد.

** وقيل أيضًا: بأنه سيلقى يومئذ من ألوان العذاب وأفانين العقاب ماينسى به تلك اللعنة التي حلت عليه في الدنيا، فتصير وكأنها انقطعت عنه.

[[إبليسُ والحِوار الماكِرُ]]

بدأ إبليس اللعين حواره الماكر مع الله عزّ وجلّ، بأن طلب منه النّظرة لتكون أمامه الفرصة كافية لأغواء ذرية آدم عليه السلام انتقاماً منهم لأن إخراجه من الجنّة كان بسبب أبيهم عليه السلام، وأراد أن يكون الثأر في جميع ذريته إلى يوم القيامة، فتذلل إلى الله قائلا: "قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ" ٣٦/الحجر - و[انظرني] أي أخّرني إلى يوم القيامة فلاتمتني قبلها، وأمهلني الحياة حتى يبعث الناس في يوم الحساب (١).

وطلب إبليس اللعين هذه الفسحة من الوقت في مكر ودهآء، حتى ينجو من الموت ويُكتب له الخلود، لكن الله أعطاه مطلبه ومنحه النّظرة، لالخلوده ولكن لتكون سبباً في زيادة بلآئه وتأخير عذابه(٢).

وتمثل ذلك المكر والدهاء في طلب إبليس اللعين، في قوله: "إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ" في الآية السابقة، وذلك

---

(١) حاشية الصاوي على الجلالين-جـ/٢-ص٦٥
(٢) القرطبي-جـ/١٠-ص١٩

طمعًا في الخلود لأنه كان يعلم شيئًا عن أحوال يوم القيامة، ويعلم أن البعث بعثان(١):

البعث الأول: ويبدأ بخروج الروح من الجسد وهو مايسمّى بأجل الموت.

والبعث الثاني: ويكون يوم أن يردّ الله أرواح الخلائق إلى أجسادها ويبعثها من القبور أحيآء، وهو مايعرف بيوم البعث، ولاموت بعده.

ولهذا فقد طلب إبليس اللعين أن يؤخره الله إلى يوم يبعثون، فينجو بذلك من الموت الحاصل عند البعث الأول، ويتحقق له الخلود الأبدي الذي لاموت بعده، ومن ذلك يتضح دهآؤه ومكره في مطلبه.

وأجاب الله له سؤله في التأخير والإمهال وجعله من المنظرين، ولكن ليس إلى يوم البعث كما طلب، بل حدد الله له فترة تلك النّظرة ومدة ذلك البقاء في قوله تعالى: "قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلىَ يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ" ٣٧ - ٣٨/ الحجر- و[الوقت المعلوم] هو أجل الموت الذي تكون نهاية الخلائق عنده، ويصعق فيه كل

---

(١) الروح لابن القيم-ص١٠٣

من في السماوات والأرض بما فيهم إبليس اللعين فلاتكتب له النجاة من الموت، ولايتحقق له الخلود والبقاء كما طلب بدهائه ومكره (١).

كما أكد الله سبحانه وتعالى لإبليس منذ هبوطه إلى الأرض، بأنه سيشارك البشر جميعًا في كل ما يخضعون إليه من أحوال ومآل، وبما فيها من حياة وموت وبعث، وذلك في قوله تعالى: "قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىَ حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ" ٢٤/٢٥/الأعراف -و[إلى حين] تعني إلى الوقت الذي تنتهي فيه الأعمار، وتموت عنده الأنفس، وتنقضي به الآجال التي حددها الله لجميع خلقه، وهو منهم أيضًا، عليه لعنة الله والخلق أجمعين(٢).

ولم تكن تلك النّظرة من الله عزّ وجلّ لإبليس اللعين على وجه التكرمة أوالتقريب، ولاتحقيقًا لمراده أوتلبية لمطلبه، وإنما كانت له عذابًا وامتهانًا، وللعباد ابتلاءً وللبشرامتحانًا، شأنه في ذلك شأن الشهوات

(١) حاشية الصاوي على الجلالين-جـ/٢-ص٦٥

(٢) نفسه -جـ/٢-ص٦٨

التي ركبها الله في الأنفس، وصنوف الزخارف وأنواع الملاهي التي خلقها الله في الدنيا، فيكون الثواب العظيم والجزآء الأوفى من الله لكل من خالف الشيطان والشهوات والزخارف والملاهي(١).

ثم عاود إبليس الكرّة في حواره بمكر ودهآء، وتساءل عن سبب تكريم آدم عليه السلام وتفضيله عليه، وقال متوعداً ذريّة هذا الذي شرّفه الله وكرّمه وفضله عليه، لإن أخّره الله ليستأصلنّهم إلاقليلا منهم -والله يحلُم ويُنظر- فقد قال سبحانه وتعالى: "قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَذَا الذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلاقَلِيلاً" ٦٢/الإسراء- ويظهر المكر والخداع في خطاب إبليس اللعين في هذه الآية الكريمة، من وجهين:

فأولا: أن سأل عليه اللعنة ربّه عزّ وجلّ بقوله [أرأيتك] أي أخبرنى لم كرّمته عليّ وبيّن لى السبب، فلم يجبه الله سبحانه وتعالى عن سؤاله هذا تحقيراً له وتصغيراً من قدره (١).

---

(١) الكشاف للزمخشري-جـ/٢-ص٦٩

(١) حاشية الصاوي على الجلالين-جـ/٢-ص٣٥٥

وثانيا: أن يدّل عليه اللعنة يوم القيامة بيوم البعث في خطابه مع الله -وهما سوآء- وذلك بقوله: [لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ] أي يوم النفخة الثانية، وكان يقصد بطلبه الماكر هذا، أن يمهله الله إلى ذلك اليوم الذي لاموت بعده، فيفوز بالخلود وينجو من الموت، لكن أجابه الله بصيغة الطرد والإمهال، بقوله تعالى: "اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا" ٦٣/الإسراء- و[اذهب] تعني انتظر إلى يوم القيامة، أي إلى يوم نهاية البعث الأول الذي تنتهي عنده الآجال لجميع المخلوقات وأنت منهم (١).

وتحقق لإبليس اللعين عدم نجاته من الموت أبداً، واستحالة خلوده يقينًا -كما طلب بمكره وخداعه - وعلم أنه ذاهب إلى مصيره المحتوم بتلك النظرة،

(١) المرجع الأخير بنفس الموضع- وأشار المفسر إلى أنه لم يكن خطاب الله عزَّ وجلَّ مع إبليس اللعين وجوابه عليه ومكالمته إياه مباشرة بدون واسطة، تكريمًا له وتشريفًا، ولكنه كان استدراجًا له من الله سبحانه، وتهديدًا ووعيدًا منه، ليصير في مقام الذل والمهانة ولثبوت الطرد وحلول اللعنة عليه إلى يوم الدين.

التي لم تكن تكريمًا له وتعظيمًا، بل كانت سببًا في زيادة شقائه ومضاعفة اللعنات التي تحل عليه من كلّ من الله ومن البشر ومن أهل السموات، فصار بذلك ملعونًا في السمآء والأرض، وازداد تقلبًا في العذاب المهين، وسيخلد في النار مع الخالدين (١).

---

(١) تفسير الخازن – جـ/٣– ص١٠٢

[[الوعُودُ الإبليسِيّة]]

توعّد إبليس اللعين ذريّة آدم عليه السلام بالثأر والانتقام منهم، وعرض وسائله الخبيثة التي سيباشر بها هذا الثأر وذلك الانتقام، فتنوعت منه الوعود واختلفت له الوسائل، على النحو التالي:

فأولا: أقسم تكبرًا واستعلاءً لئن أخّره الله إلى يوم القيامة ليستأصلنّ ذرية آدم عليه السلام إلا قليلا ممن كتب الله عليهم العصمة من الأنبياء أو حفظهم برحمته من الأوليآء أوشملهم بفضله من البشر، قال تعالى: "لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلىَ يَوْمِ القِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً" ٦٢/الإسراء - و[لأحتنكن] تعني لأستولينّ عليهم ولأحتوينّهم جميعًا، ولأستميلنّهم بالإضلال والإغواء، ولأسوقنّهم حيث شئت وأقودنّهم كما أردت، إلا قليلا منهم، ظنًا منه بالقدرة عليهم(١).

(١) فتح القدير للشوكاني-جـ/٣-ص٢٤١-وقال المفسر أن الأصل في الإحتناك، مأخوذ من احتناك الجراد للزرع، وهو أن تأكله بأحناكها وتفسده، وأيضًا من حنك الدابة إذا جعل الرجل الرّسن في حنكها فيسيطر على كل أفعالها وحركاتها.

وثانيا: أقسم اللعين بعزة الله التي لاتقهر، أن يُضلل بني آدم جميعا ويبعدهم عن الطريق المستقيم، فقال من مقام الذّلة والهوان الذي آل إليه متوعداً بني آدم بقوله تعالى: "قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّعِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ" ٨٢/٨٣/ص- و[لأغوينّهم] أي لأستدعينّهم إلى المعاصي- ولأنه علم أنه لايمكن له ذلك إلا عن طريق الوسوسة، استثني عباد الله الذين أخلصوا في عبادته وأنابوا إليه، فعصمهم الله منه، لأنهم لايخضعون لهذا الإغواء، ولا يمكن له أن يستحوذ عليهم بإضلاله(١).

ثالثا: أقسم إبليس مرة ثالثة بقوّة الله التي أغوته فأهلكته، فتوعّد بني آدم بتزيين وسائل إغرائه لهم في الأرض، وذلك إمّا بتحسين المعاصي إليهم وإيقاعهم فيها، وإمّا أن يشغلهم بزينة الحياة الدنيا فيستدرجهم بها في ارتكاب الآثام، وإمّا أن يشغلهم

---

(١) القرطبي-جـ/١٥-ص١٤٩-وجاء في جـ/١-ص٢٠٤- أن الملآئكة خلقت من نور العزة، وخلق إبليس من نار العزة، فأورثته الكبر والكفر، ولذلك أقسم بعزّة الله في هذه الآية.

يشغلهم عن تنفيذ أوامر الله ويبعدهم عن طريق الهدى والرشاد، قال تعالى: "قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ولأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ" ٣٩/٤٠/الحجر-و[لأغوينّهم أجمعين] حتّى يهلكهم إغواؤه كما أهلكته معصيته، ويشملهم الطرد من رحمة الله كما سبق أن طُرد منها، ثمّ يستدرك اللعين مرة أخرى، وينفي هذا الغيّ وذاك الضلال عن عباد الله المخلصين(١).

وباستثناء إبليس عباد الله المخلصين من الإغواء في الآيات السابقة، أوهم بأن له قدرة وسلطانًا على غير المخلصين من العباد، لكن الله عزّ وجلّ ردّ عليه قائلا: "إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ" ٤٢/الحجر- أي ليس لك سلطان على أحد من العباد أبدًا، لاالمخلصين منهم ولا من غير المخلصين، إلاّ ممّن اتبعك من الغاوين، و[الغاوون] هم المطرودون من رحمة الله، فكان اتباعهم للشيطان بسبب طردهم، لابسبب سلطان إبليس عليهم (٢)

---

(١) فتح القدير للشوكاني- جـ/٣-ص١٣١

(٢) حاشية الصاوي على الجلالين-جـ/٢-ص٢٩٧

أما رابع الوعود الإبليسية: فقد أقسم اللعين مرة أخرى بقدرة الله التي أهلكته، بأنه سيجلس بنفسه على الصراط المستقيم، متصدراً طريق بني آدم، فيبعدهم عن الهداية ويضلهم عن السبيل، قال تعالى: "قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ" ١٦/الأعراف -و[لأقعدن] أي لأعترضنّ لهم بنفسي على طريق الإسلام المستقيم المؤدى إليك، مترصداً لهم متعرضاً سبيلهم -كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه - فأمنعهم من الوصول (١).

ثمّ شرح إبليس اللعين وسائله الخبيثة في كيفية إتيانه بني آدم واستحواذه عليهم، فقال بأنه سيأتيهم من كل جهة من الجهات الأربع التي يُعتاد الهجوم منها، فيمنعهم من السير في هذا الطريق، قال تعالى: "ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَآئِلِهِمْ وَلاتَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ" ١٧/الأعراف-ومن بين أيديهم أي من حيث يبصرون، ومن خلفهم أي من حيث لايبصرون (٢).

---

(١) تفسير النسفي- جـ/٢-ص٤٧

(٢) فتح القدير للشوكاني -جـ/٢-ص١٩٣

وتتجلى الحكمة الإلهية من تحديد هذه الجهات الأربع في الآية السابقة، دون غيرها من الجهات الست المعهودة، كما يلي(١):

فأمّا الأمام والخلف: فإنه سيكثر إتيان إبليس لبني آدم منها، لأنه سواء عنده إذا هم أبصروه أولم يبصروه، فإنهم لن ينصرفوا عنه، لأنه سيزيّن لهم المعاصي في الحياة الدنيا فيتبعونه.

وأمّا اليمين والشّمال: فإنه يضعف إتيانه إليهم منها لوجود الحفظة من الملآئكة في جانبي الإنسان، ولذلك عبّر القرآن الكريم عنها بكلمة [عن] لأن الآتي من هاتين الجهتين يكون كالمنحرف قليلا.

وأمّا الأعلى والأسفل: فيقول ابن عباس رضي الله عنهما، بأن إبليس لم يذكر الإتيان من فوقهم، لأنه لايستطيع أن يأتي من الأعلى حتّى لايحول بين العبد ورحمة ربّه، كما لم يذكر الإتيان من أسفل، لأن ذلك لاينفعه: فإنه إذا أتى الإنسان من تحته سبب له الخوف والفزع، وهو يريد التآلف معه والتودّد إليه،

---

(١) حاشية الصاوي على الجلالين -جـ/٢-ص٦٥

حتّى يسهل إغواؤه واستدراجه في المعاصي، وقال ابن عباس أيضًا: بأن الإتيان من أسفل لا يليق بإبليس اللعين لتكبّره واستعلائه، فهو مازال يحلم بالكبر والعظمة، عليه لعنة الله والناس أجمعين.

أمّا خامس تلك الوعود الإبليسية: فإنه قد توعّد بني آدم بعدة وعود جمعها اللعين في خطابه مع الله عزَّ وجلَّ، في قوله تعالى: وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّه" ١١٨/١١٩/النساء -و[نصيبًا مفروضًا] يعني واجبًا فرضته لنفسي، و[لأمنينهم] أي بالأماني الباطلة من طول الأعمار وبلوغ الآمال، ورحمة الله للمجرمين من غير توبة، و[تبتيك آذان الأنعام] أي شقّها بعد أن تلد خمسة بطون آخرها ذكرًا، فيحرّموا على أنفسهم الانتفاع بها، ثمّ جاء منه الوعد الأخير بأن يأمرهم [فليغيرن خلق الله] وتغييرهم خلق الله انتقامًا منهم كما غيّر الله له خلقته وبدّل فيه صورته، وذلك بفقء الأعين حال الحزن والوشم والتخنّث وغيره (١).

---

(١) الكشاف للزمخشري -جـ/١-ص٥٦٤

وحذّر الله سبحانه وتعالى بني آدم من الشيطان ووسائله التي توعدهم بها، وبيّن لهم أن سبب تمكنه من استخدامه لتلك الوسائل في إغوائهم وإضلالهم، هو أن إبليس وذريته يرون بني آدم وهم لايرونهم بسبب لطف أجسامهم، فيكونوا بذلك أشد أثرًا عليهم وأعظم كيدًا لهم، فيتمكنوا من إغوائهم وإغرائهم من حيث لايشعرون، إلا من عصم ربه، قال الله تعالى: "يَابَنِي آدَمَ لايَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُم" ٢٧/الأعراف- وفي هذا تحذير شديد من فتنته لأنه في منزلة العدو الخفي الذي يكيد للناس من حيث لايشعرون(١).

---

(١) تفسير النسفي -جـ/٢-ص٥٠- قال المفسر في هذا المقام: [قال ذو النون: إن كان هو يراك من حيث لاتراه، فاستعن بمن يراه من حيث لايراه، وهو الله الكريم الستار الرحيم الغفار].

[[حـــوَاءُ ... أمّ البشَـــر]]

مكث سيدنا آدم وحيدًا في الجنة بعد أن أسكنه الله فيها دون رفيق أو أنيس من بني جنسه، فدخلت الوحشة إلى نفسه، ولم يجد فيها من يجالسه أومن يؤانسه فترة من الزّمن، ثمّ ألقى الله عليه النوم فنام، فأخذ ضلعا من أضلاع شقه الأيسر وخلق منه السيدة حواء، لتكون زوجة له، فيأنس بها وتأنس به، قال تعال: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا "١٨٩/الأعراف–و[من نفس واحدة] هى نفس آدم عليه السلام، و[جعل منها زوجها] أى السيدة حوآء قد خلقها من جسده، و[ليسكن إليها] يعني ليطمئن بها ويميل إليها خاصة وأنها بعضًا منه، كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه(١).

وأصبحت السيدة حوآء زوجة لسيدنا آدم بعد أن خلقت من جسده ونشأت من نفسه، لتكون له سكنًا، فيألفها قلبه وتهدأ بها نفسه، وقد أسماها الله [حواء]

---

(١) تفسير النسفي– جـ/٢–ص٨٩

لأنها خلقت من شيء حي، هو آدم عليه السلام(١).

وخرجت السيدة حوآء من ضلع آدم عليه السلام من غير ألم له أومعاناة منه، دون أن يشعر بذلك أوأن يجد فيه ألما، وقيل بأنه لو أحسّ آدم بأي ألم أومشقّة لما عطف رجل على امرأة قط، ولكن الله شمل جميع الخلق بعظيم رحمته، فانتشرت المودة والرحمة بين الذكر والأنثى، وأصبحت المحبة والشفقة هما أوثق رباط بين الزّوجين، فإذا تخلف هذا الشعور أوذلك الإحساس عند أحدهما أوكليهما، فلن تستقيم لهما الحياة هنيئة ولن يسكن بينهما حال أبدًا، قال تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" ٢١/الروم (٢).

---

(١) القرطبي جـ/١- ص٢٠٧- وورد به أنها سميت [امرأة] أيضًا، لأنها أخذت من المرءِ- أي من آدم عليه السلام.
** كما ورد في تفسير فتح القدير للشوكاني- جـ/١-ص٧٠- بأنها قد سميت [حوآء] لأنها أمّ لكل حي من البشر.
(٢) نفسه جـ/١/ص٢٠٧

جلست السيدة حواء بجوار سيدنا آدم عليهما السلام بعد تمام خلقها، ولما قام من نومه ووجدها ماثلة بجانبه في بهائها وحسن هيئتها، مالت إليها نفسه وتحرّكت نحوها مشاعره، وأراد أن يأنس بها ويسكن إليها، إذ طالت به الوحدة واشتدّت بنفسه الوحشة، فمدَّ يده إليها، فقالت له الملآئكة: تمهل ياآدم حتى تؤدي مهرها، قال: وما مهرها؟ قالوا: أن تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، قال: ومن محمد؟ قالوا: آخر الأنبياء والمرسلين من ولدك فلما فعل، أمره الله بخطبة النكاح فخطبها، وشهدت الملائكة لهما (١).

ولم يكن خلق السيدة حواء من آدم عليه السلام تفرّعًا عن الأصل فتنتسب إليه -مثل تفرّع الولد عن أبيه فينتسب إليه- لكنها نبتت من ضلعه كما تنبت

---

(١) قصص الأنبيآء للنيسايوري - ص٢٥- وورد في حاشية الصاوي على الجلالين-جـ/١-ص٢٣-أنه ليس المقصود من طلب المهر من آدم عليه السلام هو حقيقة المهر، وإنما هو لإظهار قدر محمد صلى الله عليه وسلم لآدم من أول قدم.

النخلة من النّواة، فكانت من آدم بمثابة الفسيلة التي نبتت من النخلة، فلايحكم عليها بأنها بنت آدم، ولا يقال لها أخت أولاده، بل هي أمهم ولاغير(١).

وكانت طريقة خلق السيدة حوآء نوعا من الأنواع الأربعة التي خلق الله بها البشر جميعا -وذلك دليل على كمال قدرته- فقد خلق الله آدم عليه السلام من غير ذكر ولا أنثى، وخلق السيدة حواء من ذكر بغير أنثى، وخلق المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام من أنثى بلا ذكر، ويخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى بالتزاوج، وهي ماعليه سنة التكاثر في الخلق في الحياة الدنيا، ليبثّ الله عزَّ وجلَّ من ذرياتهما رجالا كثيرًا ونساءً فيعمروا الأرض(٢).

وبعد أن آنَست السيدة حوآء زوجها آدم عليهما السلام وأنِست به، أمرهما الله عزَّ وجلَّ بسكنى الجنة وأن يأكلا منها رغدًا وأن لايقربا شجرة بعينها، وذلك بقوله تعالى: "وَيَآ آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ

---

(١) حاشية الصاوي على الجلالين -جـ/١-ص٢٠٠

(٢) نفسه -جـ/٣-ص٣٤

الظَّالِمِينَ" ١٩/الأعراف -وقد جآء الأمر الإلهي في هذه الآية الكريمة، بالسكنى في الجنة لسيدنا آدم عليه السلام بمفرده دون السيدة حوآء، وذلك بقوله [وياآدم اسكن]، وذلك لأن الله خلقها ليسكن هو إليها، فإن سكن هو الجنّة كانت هي تابعة له بالضّرورة في هذا السكن، إذ لايتحقق له السكن في سكناه إلامعها، أمّا في الأكل من ثمار الجنّة والنّهي عن شجرة معينة فيها، فقد جآء بقوله [فكلا .... ولاتقربا]، ذلك لأنهما مشتركان معًا في الخطاب، وأن كلا منهما خاضع لتنفيذ الأمر الإلهي واجتناب نهيه، إذ من الممكن أن يحدث الأكل من أحدهما دون الآخر(١).

---

(١) المرجع السابق -جـ/٢-ص٦٦

** أشار المفسر-في نفس الموضع- إن قيل: كيف يأمر الله سبحانه وتعالى آدم بسكنى الجنة بقوله [اسكن] وهو موجود فيها أصلاً؟- فقال: بأن المقصود من هذا الأمر هو الاستمرار في السّكن والمداومة عليه.

** كما ورد في الكشاف للزمخشري جـ/١-ص٢٧٣- بأن السكنى معناها من السكون، لأنها نوع من اللّبثِ والمكوث والاستقرار.

أكلت السيدة حوآء من الشجرة أولاً، ثم تبعها في الأكل زوجها آدم عليهما السلام، بعد أن وسوس الشيطان إليهما فأقنعته، وهذا لاينتقص من قدرها من شيء، كما لاينتقص من قدر النّسآء شيئًا، لأنها أصل البشر جميعًا، وهي ضعيفة خُلقت من ضعف، ويبدو ضعفها من سرعة إقناعها، كما يسهل إغواؤها لاعوجاج أصلها، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «استوصوا بالنسآء خيرًا، فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تتركه لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرًا»(١).

ويتضح من ذلك الإعجاز الإلهي الذي اقتضى أن يكون جمال المرأة في اعوجاجها، وحسنها في عدم استقامتها، أما اعوجاجها فيعني سرعة تقلب طبعها، وعدم استقامتها فإنه يعني كثرة تغيُّر مزاجها.

---

(١) صحيح البخاري -جـ/٤-ص١٠٣

[[إغراء وإغواء مِن الشيْطان]]

بدأ إبليس اللعين مباشرة أعماله في الإغواء والإغراء لآدم عليه السلام منذ اللحظة الأولى التي أسكن الله فيها سيدنا آدم عليه السلام وزوجه الجنة، وأخذ يبحث عن الوسائل والحيل التي تمكنه من إغراء آدم عليه السلام لإغوائه كي يزِلّ عن أمر الله ويأكل من الشجرة المنهي عنها، لكن الطريق أمامه لم يكن سهلا معبدًا، والأمر لم يكن له يسيرًا مذللاً، فهو يراود نبيًا كريمًا عزيزًا على الله يعيش في كنفه وينعم برحمته في واسع جنّته مع زوجه حوآء، فبحث إبليس عن أقوى أسلحته وأدهى حيله، ليصل بها إلى غايته، ويتمكن من تنفيذ مراده.

وكانت الوسوسة في مكر ودهآء، هي أوّل وسيلة من الوسائل الشيطانية التي مارسها مع آدم وزوجه عليهما السلام، وكان يسعى بها إلى إزالة لباس الجنّة عنهما، وإلى إبدآء سوءاتهما التّي أخفاها الله عنهما بذلك اللباس النّورانيّ العظيم الذى كان يغطّى جسديهما، حتّى لايتنعّما به، كما نُزع عنه ماكان ينعم

به في الجنّة من قبل، وأُخرج منها بسببه، وقد جآء وصف تلك الحيلة في قوله تعالى: "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا" ٢٠/الأعراف-والوسوسة تعني الحديث الخفيّ الذي يلقيه الشيطان في قلب الإنسان على سبيل التّكرار بوسائله المتنوعة حتّى يقنعه بفعله (١).

وبدأ إبليس اللعين وسوسته الخبيثة وكان جُلّ همّه أن يحلّ عليهما غضب من الله ويُطردا من الجنّة، قال تعالى: "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لايَبْلَى" ١٢٠/طه - وأطلق اللعين اسم [شجرة الخلد] على الشجرة المنهيّ عن أكلها، وأضافها إلى الخلد ليُوهم بأنّ من أكل منها خلُد ولم يمُت أبدًا، كما قال بأنه سيدلّ سيدنا آدم على [ملك لايبلى] أيضًا، أي أن الأكل من تلك الشجرة سيمنحه ملكًا موصوفًا بالخلود والبقآء، كالشجرة التي سيأكل منها (٢).

---

(١) تفسير النسفي -جـ/٢-ص٤٧ - وقال المفسر بأن هذا اللباس كان شفافًا رقيقًا من جنس الأظافر.
(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي -جـ/٢-ص٦٣

واختار الشيطان فكرة الخلود لأنه كان يطمع فيه من قبل، إذ طلب النّظرة من الله عزَّ وجلَّ بمكر ودهآء ليُكتب له الخلود، فلم يمنحه الله إياه، وظلّ مطلبه هذا يجيش في صدره ويراود فكره ويسببّ له حسرة في نفسه، إلى أن جعل منه أداة شيطانية يوسوس بها في نفس آدم عليه السلام، فكانت الوسوسة بالترغيب في الخلود، هو أول وسيلة من وسائل الشيطان في إغراء آدم عليه السلام (١).

ثمّ تابع الشيطان وسوسته لآدم وزوجه بعد أن فشلت محاولته الأولى مع آدم بمفرده، فعرض عليهما نهي الله عزَّ وجلَّ لهما عن الأكل من تلك الشجرة، وجآءت أسبابه هنا أيضًا -كما كانت وسيلته الأولى- لتعبّر في وصف دقيق عمّا يجيش في نفسه عليه اللعنة، وتوضّح ماكان يُشعل الحقد والحسد في صدره تجاه آدم، فعرضها في خبث ودهاء على آدم وزوجه عليهما السلام، كوسيلة من وسائل الإغراءالشيطانية الماكرة، قال الله تعالى: "وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ

(١) يراجع ص٦٢من هذا الكتاب (عن طلبه الخلد).

الْخَالِدِينَ" ٢٠/الأعراف- وقوله [تكونا ملكين] لأن الله فضّل الملآئكة على جميع الخلق في غير موضع في القرآن الكريم، و[من الخالدين] أي في الجنّة من الذين لايموتون فيها أبدًا (١).

ومرة أخرى، يتضح مكر الشيطان في كيفيّة عرضه لأسباب ذلك النهي في الآية الكريمة السابقة، إذ جعل السّياق بقوله [ألاّ تكونا ملكين] أي لئلاّ تكونا ملكين من الملآئكة الكرام اللذين يعلمان الخيروالشرّ، ثمّ إنه جعل الخلود والبقآء سببًا آخر لهذا النّهي من الله عن تلك الشجرة، لأنه علم أنّ الملآئكة لايموتون إلى يوم القيامة، ذلك اليوم الذي كان ينشده وطلبه ماكرًا من الله، فضاع عنه إلى الأبد (٢).

ولما وجد الشيطان في كل من سيدنا آدم وزوجه حوآء عليهما السلام، قوةً لاتقهر ونفسًا لاتلين، وقلبًا عاكفًا على طاعة الله لايفتُر أبدًا، وعقلا واعيًا

---

(١) فتح القديرللشوكاني-جـ٢/ص١٩٥- وأشار المفسر -في نفس الموضع- أنه يحتمل أن يكون معنى [ملكين] أي أنه لايكون لهما شهوة في الطعام.
(٢) القرطبي-جـ/٧-ص١١٥

لتنفيذ أمره، أخذ يقلب الأمر ويعمل الفكر في مكر ودهاء، حتى اهتدى في ضلاله إلى ما هو أقوى من عزم آدم وزوجه، وأشدّ عليهما من قوّتهما، ذلك بأنه لا يمكن لأحدهما أن يخالف أمر الله إلا بالله، ولا أن يخرج عن طاعة ربّه، إلاّ بما هو منسوب إلى ربّه.

وكان للشيطان اللعين ماكاد ودبّر، وخطّط ومكر، إذ أقسم بالله أنه ناصح لهما أمين عليهما، قال تعالى: "وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ" ٢١/الأعراف- وأقسم لهما تأكيدًا لإغرائه وتثبيتًا لإضلاله، فاغترّ آدم وزوجه بهذا القسم، وأكلا من الشجرة ظانّين بأنه لايحلف بالله من كان كاذبًا، فتحقق للشيطان ما كاد وأضمر، فكان إبليس اللعين أول من حلف بالله كذبًا، بل هو أول من عصى الله مطلقًا (١).

وتحقّق للشيطان ماكان يسعى إليه بهذا القسم، فحمل آدم وزوجه على الزّلة والابتعاد عن تنفيذ أمر

---

(١) حاشية الصاوي على الجلالين -جـ/٢-ص٦٧- وجاء بتفسير النّسفي- جـ/٢-ص٤٨ - في هذا المقام، إنّما يُخدع المؤمن بالله، وعن ابن عمر رضي الله عنهما «من خدعنا بالله انخدعنا له».

الله بعدم الأكل من الشجرة، فأكلا منها، قال تعالى: "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ" ٣٦/ البقرة- و[أزلّهما] تعني أذهبهما عن الجنّة وأبعدهما عنها، و[ممّا كانا فيه] أي من النّعيم والكرامة (١).

وتدلّى آدم وزوجه عن منزلهما دون أن تنتقص منزلتهما شيئًا، فنزلا من مكانهما في الجنّة ولم ينزلا عن مكانتهما عند الله أبدًا، بل ظلت رتبتاهما مثلما كانت عليه من قبل، قال الله تعالى: "فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ" ٢٢/الأعراف -و[التّدلي] يعني النّزول من الأعلى إلى الأسفل، و[الغرور] هو تصوير الباطل بصورة الحق، فوقع لهما التدلي بغرورٍ من قسم الشيطان وبإضلالٍ بفعله، فأُهبطوا إلى الأرض جميعًا بسببه، عليه لعنة الله والناس أجمعين(٢).

---

(١) الكشاف للزمخشري -جـ/١-ص٢٧٣

(٢) فتح القدير للشوكاني-جـ/٢-ص١٩٥- كما أشار المفسر إلى أن التدلي يعني أيضا الجرأة، أي أنه جرّأهُما على المخالفة والأكل من الشجرة.

[[السُّــلالة الطّينِـيّة]]

بدأت رحلة التّزاوج والتكاثر في الخلق بعد أن أهبط سيدنا آدم وزوجه إلى الأرض مباشرة، وذلك لتولي مهام الخلافة فيها، ولتكون ذريّتهما خلفآء لهما من بعدهما، فتعمربهم الدنيا، قال تعالى: "هُوَ الّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ" ١٨٩/الأعراف- و[تغشّاها] كناية عن الجماع وإنّما عَبَّر عنه بهذا اللفظ تعليمًا لعباده الأدب، و[حملا خفيفًا] يعني النّطفة، وذلك ليبثّ منهما رجالا كثيرا ونسآء، فتعمر الأرض بهذه الذّرية (١).

وقد سنّ الله لهذه الذرية أن تكون منفصلة عن أصلها انفصالا تامًا، فلا ترتبط حياة مولود ببقاء والده حيًا ولاتنتهي بموته، فلكل نفس أجلها المعلوم المستقل بذاته، قال سبحانه وتعالى: "الّذِي أَحْسَنَ

(١) حاشية الصاوي على الجلالين- جـ/٢-ص١١٢- وقد ورد العديد من التفاسير والروايات في شرح هذه الآية الكريمة، بمراجع هذا الكتاب، باعتباره أول حمل وولادة تحدث في الخلق.

كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِن مَّاءٍ مَّهِينٍ" ٧/٨/ السجدة- وقوله تعالى [من سلالة] يعني أن نسل هذا الإنسان سينشأ من سلالة، فينسلّ منه كما ينسلّ السيف من غمده، فينفصل عنه انفصالا تامًا فلا تعود هناك رابطة تربط بينهما إلا النّسب (١).

كما توضح هذه الآية الكريمة أيضًا، أن النّسل كائن من مآء مهين ضعيف يخرج من صلب الإنسان، لكنه ليس ضعيفًا في ذاته كما هو ضعيف في صفاته، لأنه يحمل كل صفات الإنسان ويجعلها في نسله، فهولذلك خلاصة الآباء وصفوتهم التي استخرجت من ظهورهم وسُلت من أصلابهم، تلك الخلاصة هي التي أسماها القرآن الكريم "سلالة".

ولأن هذه السّلالة نتجت عن الطعام الذي نبت من الطين، وخرجت من الإنسان الذي خلقه الله طينًا،

(١) فتح القدير للشوكاني-جـ/٣-ص٤٧٦ - والسلالة عنده من السّلّ وهو استخراج الشيء من الشيء، فيقال سللت الشعرة من العجين، والسّيف من غمده فانسلّ، فالنّطفة سلالة والولد سليل.

كانت سلالته طينية، قال تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ" ١٢/المؤمنون و[من طين] باعتبار النّطفة ناشئة عن الغذآء وهو ناشيء من الطين(١).

وإذا انفصلت السّلالة الطينية عن أصلها، وخرج الماء المهين من جسم الإنسان، صار هذا المآء نطفة، ثمّ تبدأ أطوار الخلق كما وصفها القرآن الكريم في قوله تعالى: "ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ" ١٣/١٤/ المؤمنون-وتتحول النّطفة في الأرحام إلى دم متجمّد يلتصق بجدار الرحم ويعلق به فهي [علقة]، ثم تصبح هذه العلقة لحمًا مائعًا طريًا، ليس له شكل معيّن، به تجاويف سطحية بسيطة متعرّجة كالطعام الممضوغ بالأضراس فهي [مضغة]، يقرّها الحق في قرار مكين، فتتحول إلى عظام يكسوها الله لحمًا، ثمّ تكون خلقًا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين(٢).

---

(١) حاشية الصاوي على الجلالين -جـ/٢-ص٣

(٢) مختصر ابن كثير- جـ/٢/ص٥٦١

ولأنّ هذا الخلق الآخرالذي خلقه الله من السّلالة الطينية سوف يتحمل رسالة التكاثر والتّوالد بين الناس كما أرادها الله، ولأنّه سيقوم بمهمة انتشار البشر في الأرض وذلك لا يكون إلا بالتّزاوج بين جنسين مختلفين من البشر، كان من الضروري أن يتشكل الخلق بين نوعين مختلفين من ذكر وأنثى، ليتفرّع الخلق عن هذا الأصل بذلك التّنوع، وتتم الرسالة البشرية في نقل النوع من جيل إلى جيل عن طريق هذين الزوجين، قال تعالى: "يَآأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً" ١/النساء- و[من نفس واحدة] أي من شخص واحد هو آدم عليه السلام، وخلق منه أمّكم حوّآء، وبث منهما بنين وبنات كثيرة لبيان كيفية توالدهم منهما(١).

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي -جـ/١-ص٢٠١/٢٠٢ - وأشار المفسر إلى أنه سبحانه وتعالى اكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها في هذه الآية، إذ الحكمة تقتضي أن يكنّ أكثر، كما ذكر [كثيرًا] حملاً على الجمع بينهما.

ويقع على عاتق هذين الزوجين مسئولية توصيل النسل إلى الأجيال القادمة، لإيجاد أسس العلاقات الإجتماعية بين الناس، ولإحداث التكاثر والزيادة في البشر، وذلك لايكون إلا بالتزاوج وبالمصاهرة بين هذين النوعين من النسل، وقد رسم القرآن الكريم هذه العلاقة الإجتماعية في إيجاز رائع وبيان قاطع، في قوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا"٥٤/الفرقان.

وقوله [نسبًا] تعني الذكورلأنهم أصحاب العصب الذين تنتسب إليهم ذرياتهم وأبنائهم، أمّا [صهرًا] فتعني الإناث، أي إنّهنّ ذوات صهر ليس لهنّ عصب ولاينسب إليهنّ ولد، ولكن يُصاهر بهنّ فقط، فلهذا أسماهنّ الله صهرًا، وكان ربك قديرًا، أي على خلق الذكر والأنثى من مادة واحدة (١).

والحكمة فى تقديم النّسب على المصاهرة فى الآية السابقة، ذلك لأنّ النّسب يبدأ منذ الولادة، ويتحقق بمجيء المولود، فيظل هذا الولد منتسبًا إلى أبيه طوال حياته، وبذلك يكون نسبًا، حتى إذا شبّ المولود

(١) حاشية الصاوي على الجلالين -جـ/٣-ص١٦٢

وترعرع وصار في سنّ الزواج، صاهر بمن يتزوجها، فيصبح نسبًا وصهرًا في آن واحد، ثمّ يأتي بنسل جديد ينتسب إليه، حتّى إذا كبر هذا النسل يصاهر بالزّواج أيضًا، وهكذا تستمر الحياة نسبًا وصهرًا، حتّى تعمرالدنيا، وكان ربّك قديرًا على هذا التّباين وذلك الاختلاف في الخلق، فسبحان الله عمّا يصفون وتعالى علوّا كبيرًا (١).

---

(١) المرجع السابق - بنفس الموضع.

إبليس في السّماء وشَيطان فِي الأرْض

تشرح الآيات القرآنية التي تحدثت عن إبليس اللعين، الحالات المختلفة التي مرّ بها خلال قصة حياته منذ بداية خلقه وحتى هبوطه إلى الأرض، ومن خلال هذا الشرح، تم حصر هذه الحالات جميعها، وتصنيفها في ثلاث مراحل أساسية، تعبّر كل منها عن حقبة معينّة في حياته، وتسمية كل حقبة باسم خاص بها يدل على مضمون تلك المرحلة، ويوضح ماصارفيها من أحداث، وذلك على النحو التالي (١):

أولا: الحقبة الملائكية:

وهي أولى هذه المراحل الثلاث، وتبدأ منذ بداية خلقه إلى أن خلق الله سيدنا آدم عليه السلام.

---

(١) هذه التسميات من الكاتب، وهي مستقاة من الآيات القرآنية، وتهدف إلى تجسيد حياة اللعين، أمّا حالات إبليس في الدار الآخرة، فستأتي لاحقًا إن شاء الله تعالى، فصل [عقوبات إبليس].

فقد كان -عليه اللعنة- في تلك الفترة يسمّى [عزازيل] من أشراف الملآئكة من ذوي الأجنحة الأربعة، وكان من أشدهم اجتهادًا وأكثرهم علمًا، ويتمتّع بأوصافهم الملآئكيّة وينعم بصحبتهم، ويعيش في زمرتهم يزهو بينهم بحسنه ويفخر فيهم بجماله ويهنأ معهم بوافر علمه، وكان يعمل خازنًا للجنّة، ويدبّر أمر السمآء الدنيا، واستمر على تلك الحال في هذه المرحلة إلى أن انتهت بخلق آدم عليه السلام(١).

وعندما خلق الله آدم عليه السلام وأمر الملآئكة بالسجود له ومعهم عزازيل، استكبر في حضرة العزيز المتكبر وامتنع عن السجود، فاستحق لذلك الطرد والإبعاد عن زمرة الملائكة، وحقّ عليه الإخراج من حضرتهم والتّجرد من صفاتهم، قال الله تعالى: "قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ" ١٣/ الأعراف (٢).

وأُهبط عزازيل من مكانته، وأخرج عن صفاته، فكان لابد أن يتغيّر مسمّاه كما تبدلت حاله، وأن

---

(١) فتح القدير للشوكاني-جـ/١-ص٦٦/٦٧

(٢) هذا باعتبار أن الأمر بالسجود كان يشمله أيضا.

يتبدل وصفه كما تغيّرت صفاته، فقد قال الله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ" ٣٤/البقرة.

وبهذا النص القرآني الكريم، تحوّل عزازيل عن كلّ من اسمه ووصفه معًا -وذلك حتّى يوافق الاسم مسمّاه ويطابق الوصف موصوفه في حالته الجديدة- فصار [إبليس] اسمًا و[كافرًا] وصفًا، فأمّا تغيير اسمه فقد أسماه الله <إبليس> لأنه أبلس من رحمة الله -أي يئس منها- وأمّا تبديل وصفه عليه اللعنة، فإن الله أعلن ذلك صراحة في الآية السابقة، بأنه كان من الكافرين أصلا (١).

ثمّ أظهر الله حقيقة وصفه وكشف عن سرّ خلقه، فأخبر سبحانه بأن أصله جنيًا وليس ملآئكيًا، قال تعالى: "فَسَجَدوا إِلاَ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّه" ٥٠/ الكهف - و[فسق] أي خرج عن طاعته، فأُخرج من سجنته، وطرد من مكانته، وانتهت بذلك الحقبة الأولى من حياته بذلك الطرد والإبلاس.

---

(١) القرطبي-جـ/١-ص٢٠٣- وقيل بأنه سمّي بذلك لأن الله أبلسه من الخير كله - (فتح القدير).

ثانيا: الحقبة الإبليسية:

بدأت هذه الحقبة منذ طرده وإبلاسه، واستمرّت إلى أن أسكن الله سيدنا آدم وزوجه الجنّة.

ويرجع السبب في تسميتها بهذا الاسم، أنه عليه اللعنة، كان يتصف فيها بعدّة صفات وضيعة دنيئة مشتقة من اسمه في هذه المرحلة، إذ أن كلمة [إبليس] تعني الحزن والحيرة واليأس والسكوت غمّا والصمت همّا، وانقطاع الحجّة عن صاحبها(١).

ويتضح من هذه الصفات، أن أثرها لاينسحب إلاّ على صاحبها فقط دون أن يتأثر بها غيره، ولهذا فقد ظلّ إبليس اللعين في تلك الحقبة خارج الجنّة في السمآء مكبوتًا يائسًا، ليس له عمل يؤدّيه أوفعل يمارسه، إذ لم تكن التكاليف الشرعية قد صدرت من الله بعد، وذلك في صورة الأمر الإلهيّ لسيدنا آدم وزوجه بسكنى الجنة وعدم الأكل من الشجرة، كما لم يكن هناك خلق أوبشر حتى يباشر في الوسوسة إليهم بالشرّ والخديعة.

---

(١) الموسوعة القرآنية الميسرة جـ/٣/ص٤٥

وظلّ إبليس عليه اللعنة حائرًا شريدًا من أمر آدم عليه السلام، ومكث حاقدًا عليه حاسدًا له، واضمرفي نفسه الشرّ والوعيد له، وتجهّز للانتقام وللثأر منه، عندما تحين له الفرصة بذلك، لما لحق به من الطرد بسببه.

وتكرّرذكر[إبليس] بهذا الاسم، في سبعة مواضع من القرآن الكريم، لم تعرض له أي عمل كان يمارسه، ولم توضح له فعلا كان يزاوله خلال تلك الفترة من حياته اللعينة، لكنها جميعًا كانت تروي استكباره عن السجود لآدم واستعلائه عليه، وتعرض صفاته الخسيسة وأوصافه الدنيئة (١).

ثالثا: الحقبة الشيطانية:

وهي المرحلة الثالثة من مراحل حياته الثّلاث، عليه اللعنة، وقد بدأت منذ أن وسوس لآدم وزوجه بالأكل من الشجرة، وانتهت بهبوطه إلى الأرض.

---

(١) مواضع ذكر إبليس في القرآن الكريم هي: [٣٤/البقرة- ١١/الأعراف- ٣١/٣٢/الحجر- ٦١/الإسراء- ٥٠/الكهف- ١١٦/طه - ٧٤/٧٥/ص].

فمنذ أن باشر إبليس اللعين الوسوسة، وبدأ في ممارسة وسائله الخبيثة، ظهرت آثار أفعاله على غيره، وانتشر الفساد من حوله، وثبت مكره وخداعه، وظهر خداعه وخبثه، فغضب الله عليه، وغيّر له اسمه ثانية فأسماه [شيطانًا]، وذلك بقوله تعالى: "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا" ٢٠/الأعراف- فقد ورد عن ابن عباس، قال: إبليس أبلسه الله من الخير كله، وجعله شيطانًا رجيمًا عقوبة لمعصيته(١).

وتكرّر ذكرالشيطان بهذه الصّفة في قوله تعالى: "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى" ١٢٠/طه- وكلمة [شيطان] تعني كل عاتٍ متمردٍ من الإنس والجن والحيوان، والذي يغري بالفساد ويدعو إلى الشرّ(٢).

ويبدو من هذه الصفات، أن آثاره الشيطانية لم تعد قاصرة على نفسه، أو منحصرة في شخصه، وإنّما امتدّت آثار أفعاله إلى غيره من الخلق، وتعدّى شرّه

---

(١) تفسير الطبري -جـ/١-ص٥٠٩

(١) الموسوعة القرآنية الميسرة -جـ/٣/ص١٨١

إلى سواه من البشر، وقد ظهرت نتائج مكره على سيدنا آدم وزوجه عليهما السلام، وبذلك كانت لحظة وسوسته وممارسته مهام إضلاله، هي لحظة انتقاله من المرحلة الإبليسية إلى المرحلة الشيطانية.

وتوالى ذكر[الشيطان] في كل موضع من القرآن الكريم، يشرح فيه تعدّي أثره على غيره، ويؤثّر فيه فعله على من سواه، قال تعالى: "فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَماَ أَنسَانِيهُ إِلاّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ" ٦٣/الكهف- وقال أيضًا: "وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ" ٤٢/يوسف- فنسب الله عزّ وجلّ النسيان إلى الشيطان، لأنّه يحدث بإلقاء الخواطر إلى القلب، فكان ذلك أثرًا من آثار فعله، ونتيجة ممارسته لشرّه (١).

كما يكون هذا التأثير من الشيطان على الناس بالقول لا بالعمل، فقد قال تعالى: "كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ" ١٦/الحشر- أي كمثل الشيطان إذ سوّل للإنسان الكفر، ثمّ تبرّأ منه وتنصّل (٢).

(١) تفسير النسفي- جـ/٣-ص١٩
(٢) مختصر ابن كثير-جـ/٣-ص٤٧٦

وقد صدرت جميع التّنبيهات الإلهية لبني آدم في القرآن الكريم، لتحذّره من خطوات الشيطان وعمله -وليس من إبليس- وتفضح وسائله ومكره، ذلك لأنّه سيظلّ شيطانًا مريدًا يزاول أعماله الخبيثة ابتلاءً للبشر، ولأن تلك المرحلة الشيطانيّة، هي نهاية المراحل الإبليسيّة الثلاث، وسيظلّ فيها هكذا شيطانًا مريدًا إلى يوم الدّين (١).

ولم يذكر القرآن الكريم كلمة [إبليس] بعد بدء هذه المرحلة - أي منذ هبوطه إلى الأرض- إلا مرّتين فقط، تبرُز فيهما براعة الوصف القرآنيّ وبلاغته، ودقّة التعبير الرّبانيّ وروعته، في كل كلمة من كتاب الله العزيز، وذلك في الموضعين الآتيين (٢):

أما الموضع الأول ففي قوله تعالى: "وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ"

---

(١) اسم الشيطان مأخوذ من ‹شاط› بمعنى احترق، لأنه محروق بالنار، أو هو مأخوذ من ‹شطن› بمعنى بعد، لأنه بعيد عن رحمة الله.

(٢) تصنيف هذه الآيات القرآنية وتفسيرها كشواهد -من الكاتب- وأسأل الله أن أكون موفقًا.

٢٠/سبأ- أي وجد ظنّه صادقًا في بني آدم، وذلك لأنّه حين وجد آدم عليه السلام قد أصغى إلى الوسوسة، قال إنّ ذريّته ستكون أضعف منه عزمًا، فظنّ بهم اتّباعه إلاّ فريقًا من المؤمنين(١).

وهذا الظنّ قد حدث قبل أن يبدأ في وسوستة وإغوائه، فجاء السياق القرآنيّ موافقًا لزمان الحدث، إذ كان وقت ظنّه هذا إبليسًا وليس شيطانًا.

· وأما الموضع الثاني ففي قوله تعالى: "فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ" ٩٤-٩٥/ الشعراء-ولأنّ هذا النّص يصف أحوال النّاس يوم القيامة بعد أن برّزت الجحيم للغاوين ومعهم جنود إبليس وذرّيته، ولأنه لا وسوسة ولا إغواء في ذلك اليوم، ذكرالقرآن الكريم كلمة[إبليس] في هذا الموضع بدلا من الشيطان، فتعالى الله الحقّ عمّا يصفون.

---

(١) الكشاف للزمخشري- جـ/١/ص٢٨٦ -وقد أشار المفسر إلى [أن هذا الظن قد حدث عند إخبار الله تعالى الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة] وكلا المعنيين يفيد أنه لاوسوسة ولاإغواء من إبليس في هذا المقام وذلك الزمان.

[[عقـُوباتُ إبلـِيسَ]]

نال إبليس اللعين عشر عقوبات من الله العزيز القدير، لامتناعه عن السجود لآدم واستكباره وكفره، أصبحت تلازمه جزاءً وفاقًا لكفره في الدنيا والآخرة، وعقابًا له ونكالا من الله ربّ العالمين (١).

وأول هذه العقوبات: أنّه أُهبط إلى منزلة وضيعةٍ ومكانةٍ دنيئةٍ بعد منزلته التي كان يظنّ أنّه من أهلها، وكان ينعم مع الملآئكة فيها، فقد قال تعالى: "قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أن تَتَكَبَّرَ فِيهَا" ١٣/الأعراف-وقوله [فاهبط منها] أي من المنزلة التي أنت فيها في الملكوت الأعلى(٢).

أمّا العقوبة الثانية: فهي أنّ الله عزّ وجلّ جعله شقيًا ذليلاً، قال تعالى: "فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ" ١٣/الأعراف-و[الصّاغرين] أي من أهل الصَّغَارِبالفتح أي الذلّ والضّيم والهوان على الله وعلى أوليائه،

---

(١). قصص الأنبياء للنيسابوري- ص٢٩- وردت هذه الابتلآءآت مختصرة بعضها بدون شواهد قرآنية

(٢) مختصر ابن كثير- جـ/٢-ص٨

فيذمّك كلّ إنسان ويلعنك كل لسان، وذلك لتكبّرك واستعلائك (١).

والعقوبة الثالثة: هي شموله باللعنة التي حلّت عليه من الله العزيز القدير، كما في قوله تعالى: "قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ" ٧٧/٧٨/ص - و[الرّجم] هو الطرد من الجنّة أومن السماء، أمّا [اللعنة] فهي الطرد من رحمة الله، وقوله تعالى [إلى يوم الدّين] لايفيد انقطاعها فيه، ولكنها باقية عليه في الدّنياوالآخرة (٢).

أمّا العقوبة الرّابعة لإبليس اللعين: فهي أن الله غيّرله اسمه وبدّل منه رسمه، فأمّا اسمه فقد قال تعالى: "قَالَ يَآإِبْلِيسُ مَالَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ" ٣٣/الحجر- فكان النّدآء من الله بهذا الاسم دليلا على أنّه صار ‹إبليس› بعد أن كان ‹عزازيل› (٣)/ ....

---

(١) تفسير النسفي -جـ/٢-ص٤٦
(٢) تفسير الخازن -جـ/٤-ص٥٠ [يراجع ص ٥٩ -٦٠]
(٣) حاشية الصاوي جـ/١-ص٢٢- وأشار المفسر إلى أن اسمه كان في السمآء الدنيا (عزازيل) وفي اللوح المحفوظ (إبيس) وهو غافل عن آخرته.

وأمّا رسمه، فقد مسخ الله له صورته وغيّر فيه خلقته، قال تعالى: قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ" ١٣/ الأعراف- و[منها] أي اخرج من صورتك النّارية التي افتخرت بها إلى صورة مظلمة مشوّهة، فتغيّرت خلقته بأن أظلم بعد ماكان نورانيًّا، واسودّ بعد ماكان أبيض، وقبُح بعد ماكان حسنًا(١).

ثم خامس عقوبة إلهيّة: فهي نزع العلم والمعرفة منه ومن ذريته إذ مُنعوا من الصعود إلى السمآء لاستراق السمع والحصول على علم السمآء، فحفظها الله منهم قال تعالى: "وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ" ١٦-١٨/ الحجر- أي حفظنا السمآء من الشياطين أن تسمع شيئًا من الوحي وغيره، إلا من استرق السمع فتتبعه الشهب فتقتله فلا تصل أخبار السمآء إلى غير الأنبيآء، ولهذا انقطعت الكهانة (٢).

---

(١) القرطبي -جـ/٧ -ص١١٢- هذا التفسير غير الوارد في ص١٠١- [لكن كلاهما هبوط منزلة].
(٣) فتح القدير للشوكاني -جـ/٣-ص١٢٥-١٢٦

أمّا العقوبة السادسة - هي أن جعله الله شيطاناً مريداً، قال تعالى:"إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا" ١١٧/النساء - و[مريداً] تعني أملساً لايعلق به شيء من الخير، كقوله تعالى: «صرح ممرّد-٤٤/النمل» فصار بذلك شريراً خبيثاً خالياً من الخير والرّحمة (١).

أمّا سابع هذه العقوبات الربّانية، فهي أن جعله الله عدوّاً لبني آدم، وأمر الإنسان باتخاذه عدوّاً له هو وذريّته، فنصب له عزّ وجلّ بذلك العداوة الدّائمة وفق أمرإلهيّ كريم، قال تعالى: "إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا" ٦/فاطر-أي فعادوه ولاتطيعوه، وإنّ مايدلّكم على عداوته، إخراجه أباكم آدم من الجنّة وتوعدّه لكم بإضلالكم (٢).

أما العقوبة الثامنة: فإن الله لن يقبل منه توبة أبداً، قال سبحانه وتعالى: "كَمَثَل الشَّيْطَان إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي

(١) أوار التنزيل للبيضاوي- جـ/١/ص٢٤٤
(٢) القرطبي -جـ/١٤-ص٢٠٧

النـّار خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَآءُ الظّـَالِمِينَ" ١٦/١٧/ الحشر- والمراد بالإنسان هنا جنس من اتّبع الشيطان من نوع الإنسان، أمّا قول اللعين [إنّي بريء منك] فهذا يكون يوم القيامة، وأمّا قوله ‹إِنـِّي أَخَافُ اللّـَهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ› فإنه ليس على حقيقته، بل هو من باب التبليس على الإنسان ولتأكيد تبرّئه منه، ولأنّ الله قد أغلق عليه باب التوبة، فقد جعله خالداً في النّار هو ومن اتّبعه جزاء للظالمين (١).

ثمّ تاسع العقوبات التي حلّت به عليه اللعنة: هي أن كتب الله عليه الضلالة الأبدية وسوء المصير، قال الله تعالى: "كُتِبَ عَلَيْهِ أَنـَّهُ مَن تَوَلاهُ فَأَنـَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ" ٤/الحج - وقد جاء لفظ الهداية إلى النّار تهكمًا من الله على الشيطان وأوليائه وأتباعه (٢).

أما العقوبة العاشرة: فقد جعله الله خطيب أهل النّار، فإنّه إذا انتهى الحساب وقضي الأمر بين الناس ودخل أهل الجنّةِ الجنّةَ ودخل أهل النّار في النّار،

(١) فتح القدير للشوكاني-جـ/٥-ص٢٠٥
(٢) حاشية الصاوي على الجلالين- جـ/٣-ص٩٣

وُضع للشيطان في النّارمنبر من نار، فيجتمع عليه أهلها يلومونه، فيبدأ فيهم خطبته كما شرحها الله في قوله: "وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَاكَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" ٢٢/إبراهيم -وقوله [سلطان] أي لم يكن لي قوّة أقهركم بها على متابعتي، بل جآءتكم البيّنات والرّسل فكذّبتموها واتّبعتموني بأن دعوتكم فاستجبتم لي بلا سلطان منّي عليكم، فإنّي لن أستطيع إغاثتكم اليوم من عذاب الله الواقع عليكم، ولا أنا منقذكم منه، ثمّ في نهاية خطبته تلك، ينكر عليهم أنهم أشركوه مع الله في الطاعة ويتبرّأ منهم، فيحق العذاب الأليم من الله على الظالمين، وكان الشيطان أظلم أهل النار جميعا (١).

---

(١) المرجع الأخير-جـ/٢-ص٢٨٣/٢٨٤

[[سِرّ ابتلاءِ آدَم عليهِ السّلام]]

كانت زلّة سيدنا آدم عليه السلام وهبوطه إلى الأرض، هي بداية تنفيذ مهام الخلافة فيها، وأوّل خطوة في مسيرة الحياة الدنيا عليها كما أرادها الله، فكان النّسيان الذي حدث منه عليه السلام، والقسم بالله من إبليس اللعين، هما أوسع الأبواب لابتلاء آدم وخروجه من الجنّة وهبوطه إلى الأرض.

وكان النّسيان سببًا من أسباب وقوع سيدنا آدم في ذلك الخطأ الذي وصفه الله عزّ وجلّ بقوله: "وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا" ١١٥/طه -و[عهدنا] أي أمرنا ووصينا، و[نسي] تعني ترك العمل بما أُمر به وعُهد فيه إليه، وذلك لأنّ آدم عليه السلام كان مأخوذًا بالنسيان في ذلك الوقت، لكنّ النسيان مرفوع عن هذه الأمّة (١).

غير أن هذا الوصف القرآني الكريم، يحمل في طياته المدح والثناء والتبجيل والإطراء من الله لآدم عليه السلام، إذ أن قوله تعالى- [ولم نجد له عزمًا]

---

(١) فتح القدير للشوكاني-جـ/٣-ص٣٨٩

تعني لم يكن له صبر على البقآء في المعصية، فأسرع إلى التوبة والاستغفار وطلب العفو من ربّه، فنال هذا العفو وحقّت له التوبة (١).

وتشير الآيات القرآنية التي تحدثت عن زلّة آدم عليه السلام، وخروجه من الجنّة وهبوطه إلى الأرض، إلى أن الحكمة من خلقه اقتضت وجوده فيها لا في الجنّة، وذلك في عدة مؤشرات ومن بضعة وجوه(٢):

فأمّا المؤشرات فهي:-

أولا: أن الله سبحانه وتعالى قد أخبر الملآئكة بأنه جاعل في الأرض خليفة له -أي سيدنا آدم عليه السلام- وذلك قبل أن يخلقه، وجاء النص القرآنيّ واضحًا صريحًا بهذا الخبر في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلآئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً".٣/البقرة فأشارذلك إلى أن الله قد أخرج آدم من الجنّة قبل أن يدخلها، وذلك من قوله [إني جاعل في الأرض خليفة] وليس في الجنّة (٣).

(١) تفسير الخازن -جـ/٣-ص٢٦٥
(٢) هذا التصنيف من الكاتب لسهولة العرض.
(٣) قصص الأنبيآء للنيسابوري-ص٢٨

وثانيا: أنه جآء في قوله تعالى: "وَقُلْنَا يَآءَادَمُ اسْكُنْ أنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ"٣٥/البقرة-وفي قول الله [اسكن] مؤشرإلى أنه عليه السلام سيخرج منها، وتنبيه على أنه لن يمكث فيها، لأن السكنى لاتكون مِلكًا دائمًا، وإنّما تكون إلى مدّة ثم تنقطع، فدخوله عليه السلام الجنة مع زوجه، كان دخول سكنى لادخول مكثٍ وإقامة (١).

أمّا المؤشّر الثالث: فهو عدم إخراج إبليس اللعين من الجنّة وإهباطه إلى الأرض مباشرة فورعصيانه، لكنّه أُخرج من الجنّة وظلّ في السمآء الدنيا فترة من الزّمن، حيث أبقاه الله عزّ وجلّ فيها حتّى تحدث منه الوسوسة وتكون بسببه الزّلة، فيهبطوا جميعًا إلى الأرض، فلو أُهبط قبل ذلك لما خرج آدم من الجنّة (٢).

أما ثالث هذه المؤشرات: أن الله سبحانه وتعالى عندما أمر آدم عليه السلام بالهبوط إلى الأرض، رسم له أطوار الحياة فيها بقوله تعالى: "قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ

(١) القرطبي -جـ/١-ص٢٠٥
(١) مختصر ابن كثير-جـ/٢-ص١٢

إلىَ حـينٍ قَالَ فيهَا تَحْيَوْنَ وَفـيهَا تَمُوتـُونَ وَمنْـهَا تُخْرَجُـونَ" ٢٤/٢٥/الأعراف- و[مستقر] تعني القبور، أوالاستقرار فوق الأرض وتحتها، وهذا دليل على أنها أنشئت من أجل استقرارالحياة عليها، ومؤشر على أن سيدنا آدم خلق للعيش فيها مدة الحياة الدنيا وليس في الجنة، كقوله تعالى: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى» ٥٥/طه-(١).

وأما حكمة وجود آدم فى الأرض فهى:

أولا: ظهورالحكمة الأزلية من وجود سيدنا آدم في الأرض وليس في الجنة، وهي نشر نسله فيها ليكلفهم الله ويمتحنهم، ويرتّب على ذلك ثوابهم وعقابهم الأخروي، إذ الجنة والنار ليستا بدار تكليفٍ، وقد قال تعالى [إني جاعل في الأرض خليفة] وهذه منقبة عظيمة وفضيلة كريمة (٢).

ثانيا: أنه كان موجوداً في صلب آدم عليه السلام، من لايليق بالولاية من الله ومن لايصلح لحظيرة

(٢) القرطبى-جـ/١-ص٢١٩
(٣) قصص الأنبيآء للنيسابوري- ص٢٨ (١) فتح القدير لشوكاني -جـ/٢-ص١٩٩

القدس الإلهية، ومن لايستحق الخلود فى الجنة، فأخرجه الله منها إلى الأرض، حتى إذا خرج هؤلاء من صلبه عاد إليها خالدا فيها (٣).

أما ثالث حكمة من وجود آدم في الأرض: فهي لأن بداية الخلق كانت في الجنة، ثم أهبط آدم منها إلى الأرض، ليستكمل حياته فيها، ثم يعود إليها، فإن الناس ستنقسم في الأرض إلى قسمين: مهديٌّ وضالٌ، فأما من اهتدى فمآله إلى الجنة، فيعود إليها كما بدأ خلقه في صلب آدم عليه السلام، وأما من حقت عليه الضلالة، فلن يسلك طريقها ولن يعود إليها أبدًا، فيكون من الخالدين في النار، قال تعالى: "كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ

** ورد في القرطبي جـ/١-ص٢٢١-أن في قوله تعالى: «وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِين» أن إلى حين هي بشارة إلى آدم عليه السلام ليعلم أنه غير باقٍ في الأرض وأنه منتقل إلى الجنة التي وعد بالرجوع إليها، ولغيره تدل على المعاد والحساب.

أنَّهُم مُّهْتَدُونَ" ٢٩/ ٣٠/الأعراف- أي تعودون فريقين: سعداء وأشقياء، فأما الفريق الذي هداه الله فهم المؤمنون بالله، وأما الفريق الذي حقت عليه الضلالة فهم الكافرون (١).

وجاء في تفسير قوله تعالى: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاتَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" ١٥٣/الأنعام- أنّ عبد الله بن مسعود رضي اللّه عنهما قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًا، ثم قال: « هذا سبيل الرّشد ثمّ خط عن يمينه وعن شماله خطوطًا ثمّ قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثمّ قرأ: [وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتّبعوه ... الآية] وقيل إنّ هذه الآيات هنّ أمُّ الكتاب، من عمل بهنّ دخل الجنّة ومن تركهنّ دخل النّار(١).

---

(١) الكشاف للزمخشري-جـ/٢-ص٦٢

[[بَين زلّة آدَم وَمعْصِيَة إبلِيس]]

كانت زلّة سيدنا آدم هي سبب خروجه من الجنّة وهبوطه إلى الأرض مع زوجه حوآء عليهما السلام، وكانت أيضًا معصية إبليس هي سبب إخراجه منها وإهباطه من السمآء وحلول اللعنة عليه إلى الأبد، ورغم أنّ الله قد جعل جزآء كلٍّ من الزّلة والمعصية الهبوط إلى الأرض لهم جميعًا، لكنه شتّان بين زلّة آدم ومعصية إبليس، فآدم -عليه السلام- رغم زلّته نبيٌّ كريم وعند الله من المكرمين، وإبليس من قبل عصيانه إبليس لعين وفى حكم الله شيطان رجيم، ويتضح ذلك من الوجوه التالية (١).

فأمّا من حيث كون ماحدث معصية:

فإنّ آدم عليه السلام قد زلّ نتيجة تصديقه قسم إبليس عندما أقسم بالله كذبًا أنه لهما لمن النّاصحين، فحدث منه الخطأ ووقع له الزّلل، قال اللّه تعالى: "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ"

(١) التصنيف الآتي من الكاتب- ويهدف إلى حسن العرض وسهولة المقارنة.

٣٦/البقرة - و[أزلّهما] من الزّلة وهي الخطيئة، أي استزلّهما فأوقعهما فيها (١).

وبعد انكشاف الأمر وثبوت كذبه عليه اللعنة، ندم آدم عليه السلام، وطلب العفومن ربّه هو وزوجه، كما جآء في قوله تعالى: "قَلا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ" ٢٣/ الأعراف- فكان جواب الله عليهما، أن قال سبحانه: "فَتَلقّى آدَمُ من رَّبِّه كَلمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْه إنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" ٣٧/ البقرة.

ورغم أنّ خطأ سيدنا آدم عليه السلام، نوع من خطأ التشريع الذي يقع من الأنبيآء غالبًا، وأنّ ذلك لايعتبرذنبًا كبيرًا ولا إثمًا عظيمًا عند الله، إلا أنّ الله قد وصفه بقوله: "وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى"١٢١/طه، وغوى أي وقع فيما نهي عن فعله.

وسبب هذه التسمية، أنّ الحقّ سبحانه وتعالى كان قد كتب على سيدنا آدم الهبوط إلى الأرض قبل أن يخلقه، ولأنه عزّ وجلّ لايجازي بالنسيان ولايؤاخذ

---

(١) القرطبي -جـ/١-ص٦٨

على الخطأ، جاء بهذا الوصف ليكون سببًا للهبوط، فكانت التسمية باعتبار النّهي الظاهري، أمّا في الحقيقة فإنّه لم يقع منه عصيان قط (١).

أمّا معصية إبليس اللعين فقد كانت في ظاهرها عصيانًا وكبرًا، وفي ذاتها عنادًا وكفرًا، فإنّه لم يمتثل إلى الأمر الإلهي بالسجود، وأصرّ على المعصية وردّ الأمر على الآمر به -وهو الله- لأنّه كان يضمر في نفسه الشرّ والأذى، وهذا لايستقيم مع الذات العلية، ولايصح في الحضرة الربانية، لذا فقد أوضح الله هذا العناد والإصرار في قوله الكريم: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيس أَبَى" ١١٦/طه - والإباء يعني الامتناع والرفض مع الإصرار المسبق والعناد المستديم، فصارت بذلك معصية بكل معانيها وبتمام دلائلها(٢).

---

(١) حاشية الصاوي -جـ/١-ص٢٤- وجـ/٣-ص٦٧- وقد ورد في تفسير النسفي جـ/٣-ص٦٨- بأن العصيان هو وقوع الفعل على خلاف الأمر والنّهي وقد تكون هذه المخالفة عمدًا فيكون ذنبًا، وقد لاتكون عمدًا فتكون زلـّة.

(٢) المرجع نفسه- بالموضع الثاني.

وأمّا من حيث دوافع العصيان:

فإنه لم تكن الدّوافع النّفسية لدى سيدنا آدم عليه السلام مرتكزة على القصد أوالإصرار لارتكاب الخطأ، أوقائمة على النيّة في عمل تلك الخطيئة، بل كان قصده امتثال الأمر ونيّته اجتناب المنهيّ عنه، فهو نبيّ معصوم عن كل أمر يخالف شرع الله قبل النبوّة وبعدها، ولكن ما وقع منه كان لأسباب ذكرها القرآن الكريم، فيما يلي:

أوّلها: تصديقه عليه السلام لقسم إبليس اللعين، كما سبق بيانه (١).

وثانيها: ما ورد في قوله تعالى: "وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا" ١١٥/طه – وعهدنا أي وصينا آدم بعدم الأكل من الشجرة، لكنّه نسي فكانت الزلّة وحدث الخطأ، وعليه فإن السّياق يدلّ على أنه عليه السلام، لم يعقد العزم على الخطأ منذ البداية، لأنّ النّسيان عارض مستحدث، ولكنّه عُوتب بترك التّحفظ عن أسباب النّسيان (٢).

---

(١) يراجع – ص٨٤ – من هذا الكتاب.

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي- جـ/١-ص٥١

أمّا الدوافع الإبليسية للمعصية، فإنّها مستقرّة في نفس إبليس اللعين ملتصقة به منذ بداية خلقه، لأنّه مجبول على الشرّ متأصّل في طبعه الخبث، ثمّ ازدادت تأصلاً فيه بعد أن خلق الله آدم عليه السلام، إذ قاس وقارن، وخيّر وفضّل بينه وبين آدم، فامتلأ قلبه حقداً دفينا وحسداً شديداً عليه، وبيّت له الإغواء والإضلال، وأضمر له الشرّ والانتقام، فكانت جميع تلك الدوافع النفسية سبباً في ارتكابه المعصية، فلمّا صدر الأمر الإلهي للملآئكة بالسجود، نازعته نفسه على العصيان فعصى الله، وهي تنازعه دوماً وأبداً، إذ وصفه الله بذلك في قوله تعالى:"يَاأَبَتِ لاتَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً" ٤٤/مريم -وعصيّا تعني كثير المعصية (١).

وأمّا من حيث الجزآء الإلهيّ:

فقد كان جزآء المعصية أن أخرج الجميع من الجنّة وأهبطوا إلى الأرض، لكنّ خروج آدم عليه السلام لم يكن غضباً من الله عليه، بل كان بسبب وسوسة الشيطان له وتصويره الباطل بصورة الحق، ولهذا

(١) حاشية الصاوي على الجلالين -جـ/٣-ص٣٩

حذّر الحقّ سبحانه وتعالى ذريّة آدم عليه السلام من الشيطان بقوله: "يَابَنِي ءَادَمَ لايَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِنَ الْجَنَّةِ" ٢٧/الأعراف - أي في سعيه لإخراج أبيكم آدم وزوجه من الجنّة، فكان هو سبب خروجهما منها(١).

أما خروج إبليس من الجنّة فقد كان غضبًا ومقتًا من الله وكان مصحوبًا بجزاءآت ثلاثة مثلما كانت معصيته مركبة من ثلاث معاصي، فقد أُخرج منها ممقوتًا مدحورًا أي بعيدًا عن رحمة الله، وذليلاً من الصّاغرين، ثمّ كان هذا الخروج مصحوبًا بالطرد واللعنة الأبدية من الله ومن الخلق أجمعين(٢).

أمّا من حيث التّوبة والاستغفار:

فإنّ سيدنا آدم عليه السلام اعترف بذنبه وأقرّ بخطئه وأظهر النّدم على فعله، وأسرع بالاعتذار إلى ربّه عزّ وجلّ والتذلل إلى الله، ولم يصرّ على ما وقع منه من خطأ، وطلب العفو والمغفرة من ربّه وشاركته

---

(١) مختصر ابن كثير -جـ/٢-ص١٣

(٢) يراجع ص٥٢-٦٠ من هذا الكتاب.

زوجه هذا الاعتراف وذلك الطلب، قال تعالى: "قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" ٢٣/الأعراف - فألهم الله عزّ وجلّ آدم كلمات تلقاها من ربّه، فقالها فتاب الله عليه، قال تعالى: "فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"٣٧/البقرة-أي رجع عليه بالرّحمة وقبول التّوبة، فتجاوز عن زلّته واصطفاه، قال الله تعالى: "ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى" ١٢٢/طه- و[هدى] أي هداه إلى حسن التّوبة والمداومة عليها والتّمسك بأسباب العصمة (١).

أمّا إبليس عليه لعنة الله والناس أجمعين، فلم يبادر بالتوبة ولم يسرع في طلب المغفرة، وأصرّ على عناده واستمر في عصيانه وتمادى في كفره، وتوعّد بني آدم بإضلالهم وإفسادهم استكباراً منه وحسداً،

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي جـ/١-ص٥٠ -وجـ/٢ -ص٦٣- وقد أشار المفسر إلى أن الله سبحانه وتعالى اكتفى بذكر آدم عليه السلام دون السيدة حوآء في كل من الذنب والتوبة، لأنها كانت تبعًا له في الحكم، ولذلك طوي ذكر النسآء في أكثر القرآن والسنة النبوية.

قال تعالى: "قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ" ٨٢/٨٣/ص-فحقّ عليه الخلود الأبديّ في النّار بسبب هذا الكفر وذلك العناد، قال تعالى: "قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ" ٨٤/٨٥/ص - و[منك] تعني من جنسك أي من جميع الشياطين، و[منهم] أي من ذريّة آدم عليه السلام الذين اتبعوه (١).

(١) الكشاف للزمخشري- جـ/٣-ص٣٨٤

[[فلسفة الهبوط إلى الأرض]]

أمر الحقّ سبحانه وتعالى سيدنا آدم وزوجه حوآء بالهبوط إلى الأرض، ومعهم إبليس اللعين بعد طرده من الجنة، لكنّه لايستوي هبوطه مع هبوطهما، كما لايكون إخراجه -عليه اللعنة- كخروج آدم وزوجه عليهما السلام.

فأمّا إبليس اللعين، فقد اجتمع له كلا الأمرين بالهبوط والخروج في آية واحدة من القرآن الكريم، في قوله وتعالى: "قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ" ١٣/الأعراف -ويوضح السياق في هذه الآية، أن الله عزّ وجلّ قد أمر إبليس اللعين بالهبوط أولاً، ثم بالخروج ثانيًا، وصدر هذ الأمر لإبليس اللعين بمفرده، ولم يتكرر مرّة أخرى في أي موضع من القرآن الكريم، فكيف يتحقق الهبوط قبل الخروج، وكيف يمكن لمن هبط إلى الأرض أن يعود إلى الجنّة ليخرج منها؟.

الهبوط إذن في هذه الآية الكريمة، لابدّ أن يكون غير الهبوط الذي وردت أوامره في المواضع الأخرى

من القرآن الكريم ومختلفًا عنه والتي جاء فيها الأمر بالهبوط في صيغة الجمع، أي مع كلّ من سيدنا آدم وزوجه عليهما السلام.

ويتضح من ذلك، أن الهبوط الأوّل الذي حقّ على إبليس اللعين، إنّما هو هبوط عن صورته التي كان عليها، وظلّ يفتخربها على آدم لكونه مخلوقًا من نار، فشوّهت له صورته بالإظلام وزوال الإشراق، وذلك قبل إخراجه من الجنّة، حتّى يخرج منها معابًا مقيتًا، وهذا هو المقصود في أمر الهبوط الوارد في قوله تعالى: [فَاهْبِطْ مِنْهَا] في الآية السابقة، ولكنّه ظلّ موجودًا في السماء ولم يهبط إلى الأرض بعد (١).

ثم حقّ عليه الهبوط الثاني إلى الأرض، لتكون له مستقرًا ومقامًا إلى حين، كما زُرعت له العداوة والبغضاء فيها بينه وبين الهابطين، قال الله تعالى: "وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" ٣٦/ البقرة- فكان لإبليس هبوط فإخراج بمفرده، ثم هبوط مع الهابطين(٢).

---

(١) القرطبي -جـ/٧ -ص١١٢

(١) يراجع الهبوط والخروج تفصيلاً-ص٥٢ ومابعدها

وأمّا هبوط سيدنا آدم عليه السلام، فإنّه لم يكن لغضب من الله عليه بل كان لمزيد شرفه ورفعة قدره، وأنّ مكانته عند ربّه لم تنتقص بعده بل ازدادت، وأنّه قد تغيّرمكانه -بهذا الهبوط- ولكن لم تتغير مكانته، وتبدّل منزله دون نقصان منزلته(١).

ويُستدلّ على ذلك من عدّة وجوه(٢):

أوّلها: أنّه لم يصدر الأمر الإلهيّ بالهبوط لآدم عليه السلام إلا بعد أن تدارك الأمر وبادر إلى التّوبة وأسرع إلى الاستغفار، ثمّ تاب الله عليه، قال تعالى: "فَتَلَقّى آدَمُ مِن ربِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" ٣٧/البقرة- و[تلقّى آدم] أي استقبل الكلمات الموحاة إليه من ربّه، فوفقه الله للتوبة (٣).

---

(١) حاشية الصاوي على الجلالين -جـ/٣-ص٦٧ -وقد أشار المفسر إلى أن هبوط آدم وزوجه عليهما السلام إلى الأرض لمزيد شرفهما ولرفعة قدرهما، لأنهما خرجا من الجنة منفردين وسيعودان إليها بمائة وعشرين صفًا من أولادهما، لايحيط بعدة مافي تلك الصفوف إلا الله سبحانه وتعالى.

(٢) هذا التصنيف من الكاتب- أسأل الله السداد.

(٣) فتح القدير للشوكاني -جـ/١-ص٦٩

كما تكرّر الأمر بالهبوط في موضعين من القرآن الكريم كذلك، وجآء كل منهما أيضًا بعد صدور العفو وثبوت المغفرة من الله عزَّ وجلَّ لآدم ولزوجه عليهما السلام، كما في قوله تعالى: "قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" ٢٣/٢٤/الأعراف- وقال الله أيضًا: "ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" ١٢٢/١٢٣/طه - فكان السياق متسقًا دائمًا مع مكانتيهما عليهما السلام، فما حدث لهما الهبوط إلى الأرض، إلاّ وقد تاب الله عزّ وجلّ عليهما قبله.

أمّا الوجه الثاني: فهو أنّه لم يصدر لسيدنا آدم أو لزوجه عليهما السلام، أيّ أمر بالخروج من الجنّة قبل هبوطهما إلى الأرض -كما حدث لإبليس اللعين- فكان أن هبطا من الجنّة مباشرة إلى الأرض مع جملة الهابطين، أمّا خروجهما منها فقد أسنده الحقّ جلّ وعلا إلى الشيطان بقوله الكريم: "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ" ٣٦/البقرة- فقد كان يقصد

إبليس اللعين بذلك إخراج آدم عليه السلام من مرتبته وإسقاطه عن منزلته وإبعاده عن رحمة ربّه، كما أُبعد هو، ولكنّه لم يبلغ مقصده ولم يدرك مراده، بل خاب ظنّه وازداد غيظه(١).

والوجه الثالث: هو أنّ الأمر بالهبوط لم يصدر لسيدنا آدم بمفرده أبدًا، وإنّما كان هبوطه دائما مع جملة الهابطين، كما في قوله تعالى: "وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" ٣٦/ البقرة- ثمّ تكرّر الأمر مرّة أخرى في صيغة الجمع أيضًا من نفس السورة، بقوله تعالى: "قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاهُمْ يَحْزَنُونَ" ٣٨/البقرة- فدلّ الأمر الأوّل بالهبوط، على أنّه هبوط إلى دار بليّة يكونوا فيها أعداء، أمّا الأمرالثاني فقد أشعر بأنّهم أُهبطوا للتكليف وثبوت التّشريع، فمن اهتدى نجا، ومن ضلّ هلك، وليس في أيّ منهما مايشير إلى نقصان منزلة آدم عليه السلام (٢).

---

(١) القرطبي -جـ/١-ص٢١٤
(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي- جـ/١-ص ٥٠

أمّا رابع الوجوه في بيان منزلة آدم من الهبوط: فهو أنّ الله عزّ وجلّ خاطبهما مخاطبة البشر جميعًا، وذلك بقوله تعالى: "قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى" ١٢٣/طه- وذلك باعتبار أنّ آدم وزوجه حوآء عليهما السلام هما أصل البشر وسبب وجوده، فكان هذا الخطاب تأكيدًا على شرف هبوطهما إلى الأرض لتلقّي التشريع الإلهي فيها(١).

أمّا خامس هذه الأدلّة: فهو أنّ الحقّ سبحانه وتعالى قد بشّر سيدنا آدم عليه السلام بالعودة إلى الجنّة حال صدور الأمر له بالهبوط، فقد قال تعالى: "وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" ٣٦/البقرة-وقوله [إلى حين] بشارة من الله عزّ وجلّ إلى آدم عليه السلام لحظة هبوطه، ليعلم أنّه غير باقٍ في الأرض، وأنّه منتقل إلى الجنّة التي وُعد بالرّجوع إليها (٢).

---

(١) الكشاف للزمخشري -جـ/٢-ص٥٥٧
(٢) القرطبي -جـ/١-ص٢٢١

[[ابتلاءات آدم عليه السّلام]]

ابتلى الله عزّ وجلّ سيدنا آدم وزوجه حواّء عليهما السلام، بعشر ابتلاءآت كانت في ظاهرها جزآءً لأكلهما من الشجرة، وفي حقيقتها تغيير في صفاتهما البشرية لتتلاءم مع طبيعة حياتهما الجديدة بعد هبوطهما إلى الأرض، كما كانت تلك الابتلآءات -في نفس الوقت- هي ابتلآءات للبشر جميعًا، وذلك تمهيداً لأن تبدأ مهام الخلافة التي أرادها الله بهذا الخلق في الأرض، ومن تلك الابتلاءآت(١):

وأول هذه الابتلاءآت الربانيّة لآدم عليه السلام: أن نزع الله عنه وعن زوجه لباس الجنّة الذي كان عليهما والذي قيل عنه أنّ كان من جنس الأظافر، وأبقى منه جزءًا صغيرًا في الأنامل لتكون عبرة وفكرا، وليتذكر الإنسان دائمًا أول حاله، قال تعالى: "يَابَنِي ءَادَمَ لايَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا"

---

(١) قصص الأنبيآء للنيسابوري- ص٢٧- وردت هذه الابتلآءآت بإيجاز، بدون شواهد قرآنية لبعضها.

٢٧/الأعراف -والنّزع يعني أخذ الشيء بسرعة وبقوة وفي ذلك إشارة إلى أن اتّباع الشيطان يتسبب في زوال النعم بسرعة (١).

والابتلاء الثاني: هو ظهورالسوأة لكلّ منهما، وذلك بعد أن سقط عنهما لباس الجنة، قال تعالى: "فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَّرَقِ الْجَنَّةِ" ٢٢/الأعراف- و[السوأة] هي كل مايسوء صاحبه، و[يخصفان] - أي يلصقان-فلمّا بدت لهما سوءآتهما -وكان عليهما نور يحجبها ويمنع رؤيتها- أخذا يقطعان أوراق الشجر، ويلصقانه عليها بعضه فوق بعض وبجوار بعض، ليسترا به ما ظهر من سوءآتهما (٢).

---

(١) حاشية الصاوي جـ/٢-ص٦٧ - وقد ورد فيه أن جسد آدم وزوجه كان من الخارج صافيا رقيقا كالأظافر فأصبح جلده واهنا ضعيفا معتما، وما أبقاه الله منه، إنما هو تحسرا من النفس على ماكانت فيه من جمال وبهاء، وإما إكراما وإجلالا للبقية الباقية من لباس الجنة، والله أعلم.

(٢) فتح القدير للشوكاني -جـ٢-ص١٩٥

أمّا ثالثها: فهو معاتبة الله عزّ وجلّ لآدم وزوجه، قال تعالى: "وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ" ٢٢/الأعراف -لكنّ عتاب الله لهما جاء في غير زجر وبدون نهر، وحصل لهما بنداءٍ رقيق من ربّهما الغفور الرحيم.

وأمّا الابتلاء الرابع: فهو تركهما لجوار ربّهما عزّ وجلّ وهبوطهما إلى الأرض، قال تعالى: "قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَيَشْقَى"١٢٣/طه- ولم يكن هذا الهبوط ليعيب آدم عليه السلام وزوجه، بل كانت الحكمة الإلهيّة من تلك المعصية والأكل من الشجرة، هي وجود الخلق وعمارة الأرض وتحقيق الخلافة فيها، ولأنّهما أصل الذرّية فقد خاطبهما الله بصيغة الجمع بعد أمر الهبوط (١).

والابتلاء الخامس: أن وصفه الله سبحانه وتعالى بقلة الحزم وعدم الصّبر ونسيان مانهاه الله عن فعله عندما أوصاه بعدم الأكل من الشجرة، قال تعالى:

---
(١) أنوار التنزيل للبيضاوي-جـ/٢-ص٦٣

"وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا" ١١٥/طه- وعهدنا -أي أمرناه ووصيّناه، فنسي هذا العهد وتلك الوصية، فلما وسوس إليه الشيطان، لانت عزيمته وفترت همّته وأدركه ضعف البشر(١).

أمّا سادس تلك الابتلاءآت: فهو أنّ الله قد وصف نسيان آدم عليه السلام (بالمعصية)، في قوله تعالى: "وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى"١٢١/طه -والعصيان هو وقوع الفعل بعيداً عن صفات الرّشد والصّواب، وقد وصف الله سبحانه وتعالى عمل سيدنا آدم بهذا الوصف، ولم يقل [زلّ أو أخطأ] ليكون ذلك مزجرة بليغة وموعظة للمكلفين -فكأنّه قال للناس اعتبروا، كيف وصفت زلّة النّبي المعصوم حبيب الله بهذا الوصف وبتلك الغلظة، فلا تتهاونوا في فعل المعاصي ولو صغرت، فضلا عن الكبائر(٢)

(١) فتح القدير للشوكاني-جـ/٣-ص٣٨٩ - وقال المفسر وقريء [فَنُسِّيَ] أي فنسّاه الشيطان.

(٢) تفسير النسفي -جـ/٣-ص٦٨

** [تنويه] ورد الكثير في هذا المقام، ولكن أحوط ماقيل فيه للسلامة من الجدل: هو أن معصية سيدنا آدم عليه السلام ليست كالمعاصي لأن ذلك=

أما الابتلاء السابع: فقد كان تركهما لنعيم الجنّة رغم تحذير الله سبحانه وتعالى بقوله: "فَقُلْنَا يَاءَادَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ

=من سرالقدر، فهومنهيٌّ عن الأكل ظاهرًا لاباطنًا، لأن الأكل منها جبري ومترتب عليه وجود الخلافة في الأرض، وإنّما سميّ ذلك معصية نظرًا للنهي الظاهري، أما في الحقيقة فلم يقع منه عصيان، وفي هذا يقول الجيلي رضي الله عنه:

إذا كنت في أمر الشريعة عاصيًا
فإنّي في حكم الحقيقة طائع

(حاشية الصاوي على الجلالين -ج/١-ص٢٤)

....

** كما أورد المفسر: أن تسمية الله لها بالمعصية، إنما هو باعتبارالواقع لافي القصد والنية، فلايجوز أن يطلق عليه العصيان من غيراقتران بالتأويل، كما لايجوز نفي العصيان عنه لصريح الآية، وأنّ الخطأ والنسيان يقع من المعصومين للتشريع والمصالح كما هو معهود في نصوص الشرع، وأيضا قال: أن تسمية الله له (معصية) إنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، وعلى كل حال، فالله عنه راضٍ وهو معصوم قبل النبوة وبعدها من كل مايخالفٌ أمر الله.

(المرجع نفسه -جـ/٣-ص٦٧)

فَتَشْقَى" ١١٧/طه- واختص الله الشقآء لآدم دون حوآء عليهما السلام، ذلك لأنّه يعني التّعب والكدّ في طلب المعاش -وذلك وظيفة الرجال- ويؤيّده خطاب الله عزّ وجلّ لسيدنا آدم بمفرده أيضًا في قوله تعالى: "إِنَّ لَكَ أَلاتَجُوعَ فِيهَا ولاتَعْرَى وَأَنَّكَ لاتَظْمَأُ فِيهَا وَلاتَضْحَى" ١١٨/١١٩/طه - وقول الله (ولاتضحى): أي لاتصاب بحرالشمس في هذه السكنى، وفي هذا تذكير للنّاس لما في الجنّة من أسباب عدم التّعب والشقاء من ساكنيها والمنّعمين فيها، وهي الشبع والرِّيُّ والكسوة والسكن(١).

والابتلاء الثامن: هو إلقآء العداوة في قلوب بني آدم جميعًا، فظلّت قائمة بينهم في الحياة الدّنيا كاختبار للخلق، فيحقّ العذاب على الظالمين، قال اللهّ سبحانه تعالى: "قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" ٢٤/الأعراف -أي بالهبوط سيكون الناس على ما هم عليه من التّعادي والتّباغي ونشر المظالم وتضليل بعضهم لبعض، إلاّ من اتّخذ خلّته خالصة للّه تصديقا لقوله تعالى: "الأَخِلآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ

---

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي-جـ/٢-ص٦٣

إلاالْمُتَّقِينَ" ٦٧/الزخرف - وهذا يعني أنّ كل صداقة وصحابة لغير الله، فإنّها تنقلب يوم القيامة عداوة، إلاّ ما كان لله عزَّ وجلَّ، فإنّها دائمة بدوامه(١).

أما الابتلاء التّاسع: فقد سلّط الله الشياطين على بني آدم ليميز الخبيث من الطيب من البشر، بقوله تعالى: "وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إلاغُرُوراً" ٦٤/ الإسرآء–وقوله [استفزز] يعني استزلّ واستخفّ، وهو أمر تعجيزيّ من الله لإبليس اللعين، أي افعل ماشئت فإنك لاتستطيع، وقوله[بصوتك]: أي بالغنآء أوبالمزامير، وقوله [بخيلك ورجلك]: أي الذّاهبين إلى المعاصي ركبانًا أومشاة، والمشاركة في الأموال،

---

(١) مختصر ابن كثير–جـ/٣–ص٢٩٥

** قيل في هذا المقام: أن الأصدقاء المتحابين في غير حبّ الله، إذا اجتمعوا على فعل معصية، انقلبت صداقتهم إلى عداوة شديدة بعد ارتكابهم المعصية، وأصبحت تلك المحبة بغضًا وكرهًا، ولا مانع من أن تحدث لهم هذه العداوة والبغضآء في الدنيا قبل حدوثها في الآخرة.

أي بالكسب الحرام والإنفاق في الحرام، والمشاركة في الأولاد يعني أولاد الزّنا، أمّا الوعد فإنّه يلقي في النّفوس أنّه لا بعث ولا حساب ولاجزآء في الآخرة، وهذا كلّه باطل من الشيطان (١).

أمّا الابتلآء العاشر من الابتلآءآت الربانيّة: فهو أن أسكن الله الشيطان جسد ابن آدم، فيوسوس في صدورهم قال تعالى:"الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاس" ٥/٦/الناس- فأصبح يجري من ابن آدم مجرى الدّم في العروق، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدّم» رواه البخاري(٢).

---

(١) المرجع الأخير-جـ/٢-ص١٨٧/١٨٨

(٢) حاشية الصاوي على الجلالين-جـ/٢-ص٣٥٦-

** [فائدة] لدفع الوسوسة، قال المفسر- تضع اليد اليمنى على جانب الصدر الأيسر بحذاء القلب، وتقول: <<سبحان الملك القدّوس والخلاق الفعّال>> سبع مرّات ثم تقرأ: "إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ" ١٩/٢٠/إبراهيم.

[[ابتـــلاءات حــوّآء]]

ابتليت السيدة حوآء عليها السلام، من الله بعشر ابتلآءات كما كانت لآدم عشراً وشاركته فيها، أمّا تلك الابلآءات فهي تخصّها بمفردها وزيادة لها ولبنات جنسها، وهي كالآتي(١):

أوّلها الحيض: فقد ورد أنّه لما أكلت السيدة حوآء من الشجرة، سالت رطوبتها، فقيل لحوّآء كما أدْمَيت الشجرة فكذلك يصيبك الدّم كل شهر، قال تعالى: "وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَآءَ فِي الْمَحِيضِ" ٢٢٢/البقرة(٢).

الثّاني ثقل الحمل: قال الله تعالى: "فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّآ أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ" ١٨٩/الأعراف- و[أثقلت] أي صارت ذات ثقل، ودلّت الآية على أنّ الحمل مرض من الأمراض، وأنّ أوّله

(١) قصص الأنبيآء للنيسابوري- ص٢٨- وردت معظمها بدون شواهد قرآنيّة.

(٢) القرطبي جـ/١ص٢١٤-والشوكاني جـ/١ص٢٢٥

يُسرٌ وسرورٌ، وآخره مرض من الأمراض، وأكّد ذلك قوله تعالى: "وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ" ١٤/لقمان- أي حملته في بطنها وهي تزداد كلّ يوم ضعفًا على ضعف، وقيل المرأة ضعيفة الخلقة ثمّ يُضعفها الحمل (١).

أمّا ثالث هذه الابتلاءات: فهي آلام الوضع، فقد قال تعالى: "وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا" ١٥/الأحقاف- أي أنّها قاست بسببه في حال حمله مشقّة وتعبًا، من وحمٍ وغثيان وثقل وكرب، مما تنال الحوامل من التّعب والمشقّة، ثمّ وضعته بمشقّة أيضًا، من الطلق وشدّته (٢).

والابتلاء الرّابع: فهو نقصان دينها وعقلها، فعن أبي سعيد أن رسول الله صلى اله عليه وسلم قال: «مارأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبّ الرّجال الحازم من إحداكنّ، فقلنَ له: ومانقصان عقلنا وديننا يارسول الله؟ قال أليس شهادة المرأة بنصف شهادة

(١) القرطبي-جـ/٧ص٢١٥-وجـ/١٤ص٤٤
(٢) مختصر ابن كثير-جـ/٣-ص٣١٩

الرّجل، فذلك نقصان عقلها، أوليس إذا حاضت المرأة لم تصلّ ولم تصم؟ قُلن بلى ، قال: فذلك نقصان دينها » كما قال الله تعالى: "وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرُ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى" ٢٨٢/البقرة (١).

والخامس هو: أن جعل الله ميراثها نصف ميراث الرّجل، قال تعالى: "يُوصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ" ١١/النساء- أي يُعدّ كلّ ذكر بأنثيين، وذلك التّخصيص بالنّصف، إنّما القصد منه بيان فضل الرّجال، والتّنبيه على أنّ التّضعيف كافٍ لبيان هذا الفضل (٢).

أمّا سادس هذه الابتلاءات: أن جعلهنّ تحت أيدي الرّجال، قال تعالى: "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ" ٣٤/النسآء- والمراد أنّهم يقومون بحمايتهنّ وبما يحتجن إليه من النّفقة والكسوة والمسكن، وجآء

---

(١) قصص الأنبيآء للنيسابوري-ص٢٩
(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي-جا-ص٢٠٦

النصّ بصيغة المبالغة في قوله [قوّامون] لتدلّ على أصالتهم في ذلك، كما دلّت الآية على أنّ الرّجال قد استحقّوا هذا التّفضيل لأنّ فيهم الخلفآء والحكام والأمرآء والغزاة وغير ذلك، وأيضًا بسبب ماأنفقوا من أموالهم عليهنّ (١).

أمّا سابعها: أنّه ليس لهنّ من الطلاق من شيء، ولايملكن ذلك إنّما هو للرّجال، قال تعالى: "يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ" ١/الطلاق- وقد خوطب الرّسول عليه الصلاة والسلام، والمراد أمّته، وذلك لأنّه الرّئيس الكامل للأمّة، أو كأنّ الله تعالى طلب منه أن يقول لأمّته هذا الحكم في الطلاق ويبلّغهم إيّاه(٢).

والثامن: هو تخصيصهنّ بالعدّة، قال الله تعالى: "وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلايَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَاخَلَقَ اللَّهُ فِى أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ" ٢٢٨/البقرة- والتّربّص يعني الانتظار، والمقصود من الأقرآء هو الاستبرآء، كما

---

(١) فتح القدير للشوكاني- جـ/١-ص٤٦٠.
(٢) حاشية الصاوي على الجلالين- جـ/٤-ص٢١٣

جعل الله عدّة الصغيرة التي لم تحض والكبيرة التي قد يئست بالشهور، والحامل عدّتها أن تضع حملها، وذلك بخلاف عدّة الوفاة التي هي عبادة (١).

أمّا الابتلاء التاسع للسيدة حوآء: فهو أنّ الله لم يجعل منهنّ نبيًا أو رسولا، أمّا قول الله تعالى عن السيدة مريم ابنة عمران: "مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ" ٧٥/المائدة- أي أنّ المسيح عيسى ابن مريم رسول كسائر الرّسل، وأمّه ما هي إلا صدّيقة كبعض النّسآء المصدّقات للأنبيآء المؤمنات بهم، فما منزلتهما في الخلق إلا منزلة بشرين، أحدهما نبيّ والآخر صحابيّ، فدلّ ذلك على أنها ليست من الأنبيآء(٢).

أمّا الابتلآء العاشر: فإنّهنّ قد حُرمن الجهاد ولم تعقد بهنّ الجمعة، قال تعالى: "يَاأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاة مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ" ٩/الجمعة- وقوله تعالى [يَاأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا] إنّما

---

(١) القرطبي- جـ/٣-ص٧٥
(٢) الكشاف للزمخشري-جـ/١-ص٦٣٥

هو خطاب للمكلّفين بإجماع، ويخرج منه المرضى والعبيد والمسافرون والنّساء، وبذلك خرجن من هذا النّداء الرّباني ليوم الجمعة (١).

أمّا كونهنّ قد حُرمن الجهاد، فذلك لأنّ الشرع الإسلامي، أقرّ بأن الجهاد لايجب على غير المسلم ولاعلى المرأة ولا على الصبيّ، ولا على المجنون ولاعلى المريض، فلا حرج على واحد من هؤلآء في التّخلف عن الجهاد، لأنّ ضعفهم يحول بينهم وبين الكفاح، وربّما كان وجودهم أكثر ضرراً، مع قلة نفعهم، ولكن هذا لايمنع خروجهنّ للتمريض ونحوه (٢).

(١) المرجع قبل الأخير - جـ/١٨-ص٦٨
(٢) فقه السنة- للسيد سابق-جـ/٢-ص٦٢٣

[[مَأثورَات حَـولُ قصـّة الخلـْق]]

تناقلت الأخبار المشهورة، وتواترت الرّوايات المأثورة عن بعض الحكايات والأقوال حول قصّة الخلق، وقد وردت جميعها ضمن كتب التّفسير المختلفة الواردة كمراجع لهذا الكتاب، فقمت بتجميع بعضٍ منها في هذا الفصل للتّفكر والاعتبار، وللوقوف على أقوال الأوّلين، وأخبار الرّواة والمحدّثين، ومنها:

**** ماقيل في اسم آدم عليه السلام:**

قيل بأنّ اسم [آدم] عليه السلام مشتقّ من أديم الأرض وهو وجهها، لأنّه خُلق من أديمها فسمّي بما خلق منه، أو بأنّه مشتقّ من الأدَمة وهي السّمرة، وقيل بل من البياض لأنّه عليه السلام كان أبيض ....

وإنّما سُمّي إنسانًا لأنّه نسي، ويكنّى [أبا البشر] وقيل: [أبا محمّد] فقد كنّي بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء والمرسلين، وقيل: إنّما هو في الجنّة أبومحمد، وفي الأرض أبو البشر(١).

---

(١) القرطبي- جـ/١-ص١٩٢

**المأثور في كيفيّة خلقه عليه السلام:

بعث الله عزّوجلّ جبريل عليه السلام إلى الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أن تنقص منّي أو تَشِينني، فرجع ولم يأخذ منها شيئًا، وقال: يارب إنّها أعاذت بك فأعذتها، فبعث ميكائيل فحدث معه مثلما حدث لجبريل عليهما السلام، فبعث الله ملك الموت فعاذت منه، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفّذ أمره، فأخذ من وجه الأرض، من التّراب الأحمر والأبيض والأسود -ولذلك خرج بنو آدم مختلفين-فصعِد به فقال الله سبحانه وتعالى له: «أما رحِمت الأرض حين تضرّعت إليك؟» فقال: رأيت أمرك أوجب من قولها، فقال الله عزّ وجلّ: «أنت تصلح لقبض أرواح ولده» (١).

وقيل بأنّ الله خلق رأس آدم عليه السلام وجبهته من تراب الكعبة، وصدره وظهره من بيت المقدس، وفخذيه من أرض اليمن، وساقيه من أرض مصر، وقدميه من أرض الحجاز، ويده اليمنى من أرض المشرق، ويده اليسرى من أرض المغرب، ثمّ ألقاه على

(١) المرجع السابق -جـ/١-ص١٩٣

باب الجنّة، فكلما مرّ عليه ملأ من الملآئكة عجبوا من حسن صورته وطول قامته، فلم يكونوا قبله قد رأوا شيئًا يشبهه من الصّور، فمرّ به إبليس اللعين فقال لأمرٍ ما خلقت، ثمّ ضربه فإذا هو أجوف، فدخل من فيه وخرج من دُبره، ثمّ قال لأصحابه من الملآئكة هذا خلق أجوف لايتماسك ولايثبت، وأسرّ إبليس عليه اللعنة في نفسه لإن فُضّل عليّ لأعصينّه، ولإن فُضّلتُ عليه لأهلكنّه (١).

** المأثور عن النّفخ من الرّوح:

قيل بأنّه لمّا نفخ الله عزَّ وجلَّ الرّوح في جسد آدم عليه السلام، دخل الرّوح في رأسه فعطس، فقالت له الملآئكة: قل الحمد لله، فقال: «الحمد لله» فقال له الله سبحانه: «رحمك ربّك» فلمّا دخل الرّوح في عينيه نظر إلى ثمار الجنّة، فلمّا وصل إلى جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن يبلغ الرّوح رجليه عجلان إلى الثّمار من الجنّة، فذلك حين يقول الحقّ: "خُلِقَ الإِنسَانُ مِن عَجَلٍ" ٣٧/الأنبياء (٢).

---

(١) قصص الأنبيآء للنيسابوري -ص٢٢
(٢) القرطبي -جـ/١-ص١٩٣

وفي بعض الأخبار: أنه لمّا قال الله لآدم عندما عطس: يرحمك ربّك، وضع آدم يده على رأسه وقال: أواه، فإنّي قد أصبت ذنبًا، فقال الله له: وما أدراك؟ فقال آدم: لأنّ الرحمة للمذنبين، فصارت في ذرّيته، وضع اليد على الرأس والتّأوّه عند المصيبة (١)

** رواية عن صفة لباس آدم في الجنّة:

اختلف في ماهيّة لباس آدم وحوّاء في الجنّة، فقيل بأنّه كان نورًا على كلّ منهما فلا يُبصر أحدهما سوأة صاحبه، فلمّا أكلا من الشجرة نُزع عنهما ذلك النّور، وقيل بأنّه كان لباس آدم وزوجه في الجنّة من الياقوت، فلمّا حدثت الزّلة منهما، تقلّص ذلك اللباس عنهما وانحسر فصار أظفارًا(٢).

كما قيل بأنّ ذلك اللباس كان غطاءً على الجسد من جنس الأظفار، فنُزع عنهما وبقيت الأظفار في اليدين والرّجلين تذكرة وزينة وانتفاعًا، ولذلك قالوا بأنّ النّظر للأظفار حال الضحك يقطعه (٣).

(١) قصص الأنبيآء للنيسابوري -ص٢٤
(٢) فتح القدير للشوكاني-جـ/٢-ص١٩٦
(٣) حاشية الصاوي على الجلالين - جـ/٢-ص٦٧

** ماقيل في ذرّية إبليس اللعين:

قال مجاهد: من ذرية إبليس: [مرّة] وهو صاحب المزامير وبه يكنّى عليه اللعنة، و[لاقس وولهان] وهما صاحبا الطهارة والصلاة اللذان يوسوسان فيهما ليصرفا العبد عن تمام الطاعة، و[زَلنْبور] وهو صاحب الأسواق يزّين للنّاس اللغو في القول والحلف الكاذب ومدح السّلع، و[بتر] وهو صاحب المصائب يزيّن خدش الوجوه ولطم الخدود وشقّ الجيوب، و[الأعور] وهو صاحب الزّنا ينفخ في كلّ من الرّجل والمرأة فيوقعهما فيه، و[مطروس] وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها في أفواه النّاس لايجدون لها أصلا وقيل اسمه مسوط، و[داسم] وهو الذي إذا دخل الرّجل بيته ولم يسمّ ولم يذكر الله دخل معه(١).

وزاد الثعلبيّ: و[الأبيض] وهو الذي يوسوس للأنبيآء، و[صخر] وهو الذي اختلس خاتم سليمان، و[الهفاف] وهو الذي يضلّ النّاس في الصحارى،وقيل بأنّه صاحب الشرّاب (٢)

---

(١) المرجع الأخير- جـ/٣-ص١٧
(٢)القرطبي جـ/١٠-ص٢٧٣-٢٧٤

واختلف هل لإبليس اللعين ذرّية من صلبه، فقال الشعْبيّ: سألني رجل فقال هل لإبليس زوجة؟ فقلت: إنّ ذلك عُرس لم أشهده، ثمّ تذكرت قوله تعالى: «أفتتخذونه وذريته أولياء» .٥٠/الكهف- فعلمت أنه لايكون ذرّية إلا من زوجة، فقلت : نعم (١).

** المأثور في الهبوط إلى الأرض:

قيل بأنّ سيدنا آدم عليه السلام، هبط من الجنّة فنزل بـ[سرنَديب] في الهند على جبل يقال له [بوذ]، وأهبطت السيدة حوّاء بـ[جدّة] من أرض الحجاز، وإبليس اللعين بـ[الأبلّة] من أرض العراق وهي بالبصرة، والحيّة بـ[أصبهان] وقيل بَيْسَان (٢).

كما روي: أنّه لمّا أهبط آدم عليه السلام من الجنّة إلى أرض الهند، كان عليه ذلك اللباس الذي اتّخذه من ورق الجنّة، وعلى رأسه إكليل منه، ومعه عصا من شجرها، فلمّا يبس وتطاير بأرض الهند، نبت منه جميع أنواع الطيب، فكان أصل كلّ طيبٍ بالهند (٣).

(١) المرجع الأخير - بنفس الموضع.
(٢) قصص الأنبياء للنيسابوري - ص٢٨
(٣) المرجع السابق-ص٣١

وقيل أيضًا: بأنّ آدم عليه السلام قد هبط إلى الأرض ومعه التّابوت المقدس، وعصا موسى، وقيل كان معه أيضًا عصى هارون وثياب موسى وهارون، ولوحان من التّوراة والمنّ، وذلك لما في قوله تعالى: "وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَى وَءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" ٢٤٨/البقرة (١).

ومن المأثور أيضًا، أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى آدم عليه السلام بأنّ لي حرمًا بأرض مكة، وأمره بزيارته، وقيّض له ملكا يرشده، فمشى إليه، فكان كل موضع قدم على الأرض لآدم، صار عمرانًا، وماتعدّاه أصبح مفازة خاليًا، وكانت السيدة حوآء قد ذهبت من جدّة في طلبه أيضًا، فلما وقف بعرفات التقيا بها، فسمّيّ اليوم عرفة، والموضع عرفات، وقال الله تمنّ ياآدم، فقال المغفرة والرّحمة، فسميّ المكان منىً، ثمّ عادا سويًا إلى الهند ليقيما فيها، والله تعالى أعلم (٢).

---

(١) فتح القدير-جـ١-ص٢٦٧

(٢) قصص الأنبيآء للنيسابوري -ص ٣١

تمّ بحمد اللّه وتوفيقه

وكان الانتهاء
من هذا الكتاب
بفضل عظيم من
اللّه وآلاء من عنده
في عصر يوم الاثنين
٤ جمادى الآخرة ١٤١٨هـ
الموافق ٦ أكتوبر ١٩٩٧م

محمّد البشير فرحان

[[ثبتُ المَراجع]]

** القرآن الكريم.

** أنوار التنزيل وأسرار التأويل تفسير-ناصر الدين
أبي الخير عبد الله بن عمر البيضاوي
محمد محمود الحلبي - مصر
الطبعة الثانية- ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م

** تفسير الخازن المسمى -
لباب التأويل في معاني التنزيل
للإمام علاء الدين علي بن محمد إبراهيم
البغدادي الصوفي -المعروف بالخازن
دار الكتب العربية الكبرى - مصر

** تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل القرآن.
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
دار المعارف المصرية- ط/٢

** تفسير النسفي -للإمام الجليل العلامة أبي بركات
عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي
دار الكتاب العربي -لبنان - ١٩٨٨م

** الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبدالله محمد بن
أحمد الأنصاري القرطبي
دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

** حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين
للشيخ أحمد الصاوي المالكي
المكتبة الإسلامية - ١٣٥٨هـ

** روح المعاني للآلوسي- لمحمود شكري الآلوسي
دار إحياء التراث العربي - بيروت
الطبعة الرابعة- ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م

** فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية
من علم التفسير
محمد بن علي بن محمد الشوكاني
دار المعرفة بيروت - لبنان

** الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل
في وجوه التأويل
أبي القاسم جار الله محمود بن
عمر الزمخشري
مكتبة ومطبعة الحلبي- مصر- ١٩٧٢م

** مختصر تفسير ابن كثير - محمد على الصابوني
المكتبة الفيصلية -
مكة المكرمة.

**صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن
إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن
بردزبه البخاري.
دار إحياء التراث العربي-لبنان.

** التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول
صلى الله عليه وسلم -
الشيخ منصور على ناصف.
المكتبة الاسلامية/
الطبعة/٣ -١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م
** الجامع الصغير من حديث البشير النذير
جلال الدين عبد الرحمن أبي
بكر السيوطي
مكتبة الحلبوني -دمشق.
** الأحاديث القدسية -المجلس الأعلى للشئون
الإسلامية - القاهرة - ط/٣
لسنة ١٩٨٣م.
** قصص الأنبياء- لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل
ابن عمر بن كثيرالقرشي الدمشقي.
مؤسسة أبوالطيب للثقافة -
بيروت - ط/٣ -١٩٩٢م
** قصص الأنبياء - المسمى عرائس المجالس
لأبي اسحق أحمد بن محمد إبراهيم
النيسابوري المعروف بالثعلبي.
المكتبة الثقافية - بيروت.

** الروح لابن القييم -الإمام شمس الدين أبي
عبد الله بن قيم الجوزية
دار الكتب العلمية- بيروت
ط/١ - سنة ١٩٨٢م

** الموسوعة القرآنية الميسرة
تصنيف إبراهيم الإبياري
مؤسسة سجل العرب- القاهرة
١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

** فقه السنّة - تأليف السيد سابق
دار الكتاب العربي- بيروت
الطبعة السادسة -١٩٨٤م

[[فهرســـت]]

تابع

[[الفهرســـت]]